Kafkas Üniversitesi
İlâhiyat Fakültesi Dergisi
Kafkas University Faculty of
Divinity Review
www.dergipark.org.tr

Doi 10.17050/kafkasilahiyat.1023539

# اِبنُ عَرفَة حَياتُهُ وَمُؤلَفَاتُهُ

**Obayda ALSHIBLY***

ملخّص:

تسعى هذه الدراسة إلى التعريف بابن عرفة الورغمي صاحب التفسير والعالم المشهور في القرن الثامن في بلاد المغرب العربي(تونس) في زمن الدولة الحفصيّة، العالم الجليل الذي تفرَّغت شخصيته للعلم والتعليم. لم تكن تلك الشخصية التي تأثرت بالأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية السائدة في عهد الدولة الحفصيّة، بل كانت شخصيته العلميّة قد أثَّرت في غيرها من الناحيّة الثقافية والعلمية في عصره؛ إذ نَهل كثير من الطلبة آنذاك من علومه الغزيرة، ومقالاته وآرائه اللغويّة الكثيرة والنافعة. كما كان لنشأته وسط البيئة الصالحة والأسرة الفاضلة الدور الأكبر والرئيس في تشكيل شخصيته العلميّة؛ إذ أخذ عن والده العالم والفقيه والمفسر واللغوّي الكثير، كما عُرِفَ بين الناس بالورع والتقوى، وملازمة العلم والعلماء، والتدريس ونشر العلم والفضيلة، حتَّى حَقَّقَ بذلك الشهرة الواسعة فَذَاعَ صيتُه، وطارتْ شُهرَتُهُ، وأضحى عَلَماً من أَعلامِ المغربِ العربيّ آنذَاك.

**الكلمات المفتاحية**: *المؤلفات– الحياة– ابن عرفة.*

# İbn Arafa'nın Hayatı ve Eserleri**

**Obayda ALSHIBLY**

***Öz***

*Bu çalışma, İbn Arafe'nin hayatının tanıtılmasını hedeflemektedir. O, sekizinci asırda Arap Mağribi'nde, Tunus'ta, Hafsîler devrinde yaşamış bir tefsir yazarı ve meşhur bir âlimdir. İbn Arafe'nin kişiliği ilim ve eğitime adanmıştır. Hafsîler devrinde hüküm süren ekonomik, siyasî ve sosyal şartlardan etkilenen şahsiyeti değil, ilmî kişiliği, zamanının diğer kültürel ve bilimsel yönlerini etkilemiştir. O dönemde birçok öğrenci onun bol ilminden, birçok faydalı makalesinden ve dilsel görüşlerinden yararlandı; iyi bir çevrede ve erdemli bir ailede yetişmesi, onun ilmî kişiliğinin şekillenmesinde büyük ve önemli bir rol oynamıştır. O, babasından, âlimlerden, hukukçulardan, müfessirlerden ve dilcilerden çok şey almıştır. Ayrıca takvası, ilim ve âlimlere bağlılığı, ilim ve fazilet öğretmesi ve yayması ile halk arasında tanınmıştır. Böylelikle Arap Mağribi'nin meşhur isimlerinden birisi olmuştur.*

***Anahtar Kelimeler:*** *Eserleri, Hayatı, İbn Arafa.*

---

* Teacher, Officer, Obayda ALSHIBLY, Kafkas University, Faculty of Arts and Sciences, Department of Eastern Languages and Literature, Department of Arabic Language and Literature, Kars, Türkiye.
Öğretm. Görevlisi, Obayda ALSHIBLY, Kafkas Üniversitesi Fen-Edebiyat Fakültesi Doğu Dilleri ve Edebiyatları Bolumu Arap Dili ve Edebiyatı Anabilim Dalı Kars, Türkiye.

** Bu makale, Sivas Cumhuriyet Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsünde devam eden "İbn Arafe'nin Tefsirinde Nahvî Görüşleri" başlıklı doktora tezinden faydalanılarak, Prof. Dr. Mehmet Ali ŞİMŞEK denetimi altında hazırlanmıştır.

obaidashibly12113@gmail.com **ORCID** 0000-0002-8119-6660.

**Type / Türü:** Research Article / Araştırma Makalesi
**Received / Geliş Tarihi:** 28 February / Şubat 2022
**Accepted / Kabul Tarihi:** 08 March / Mart 2022
**Published / Yayın Tarihi:** 28 July / 28 Temmuz 2022
**Volume / Cilt:** 9; **Issue / Sayı:** 18; **Pages / Sayfa:** -424-457
**Suggested ISNAD Citation:** Obayda Alshibly, "*İbn Arafa'nın Hayatı ve Eserleri*", *Kafkas Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, 9*/18 (Temmuz-July 2022), 424-457.
www.dergipark.org.tr

**مدخل:**

يعود ابنُ عرفة إلى تاريخ الدولة **الحفصيّة**[1]، هذه الدولة التي أَوْلَتِ الحياة الفكرية ونتاجها الأهميّة الكبرى، وجعلت لها منزلةً عُليا، فكان من أعظم أهدافها العنايةُ بالنّواحي الفكريّة والثّقافية آنذاك، والملاحظ في النّتاج الفكريّ في عهد الدّولة الحفصيّة هو الصّبغة الدّينية الّتي اصطبغت بها جميعُ النّشاطاتِ الفكريَّةِ من أقسام التّدريس والتّعليم سواءٌ في المدارسِ أم في المساجد والجامعات، فالعامل الدِّيني صبغ الحياة الاجتماعيّة بِكُلّ أطيافهِ.

يُعَدُّ ابنُ عرفة أحدَ أعلامِ الفقه والتّفسير واللُّغة العربيَّة في بلادِ المغرب العربيّ؛ إذْ كانَ سبباً في نشاطِ الحركةِ العلميَّة والحركة التفسيريَّة في عصره؛ و اعتمدَ ابنُ عرفة على تفسيرِ ابن عطيَّة، وانتهجَ طريقةَ التَّحليل والإملاء إلى تلاميذه؛ ليَأتِي بِكلّ جديد، يقدِّمُهَ إلى طُلابهِ بالأسلوبِ العلميّ اللُّغويّ الرَّصين، وكانَ في منهجه الإملائيّ يُورِدُ الكثيرَ من الأقوال للعلماء في المجالات المتنوعة بين اللُّغة والنَّحو والبيان والوجوه الإعرابيَّة علاوةً على عنايته التَّامة بالنَّواحي الفقهيَّة وعلم الكلام. والبحثُ سيتحدَّث عن هذا العالمِ الجليل فِي عصره، وعن نتاجه العلميَّ، والقول فيه.

وقد قسم البحث إلى مبحثين، فأمّا المبحث الأول فقد خُصِّص لدراسة الحياة الذاتية لابن عرفة الورغمي من خلال الحديث عن عصره وزمن الدولة التي عاش فيها، ونشأته الصالحة، واهتمامه بالعلم والعكوف على طلبه منذ صغره، والثقافة ومظاهر الاهتمام بها في عصره، وشيوخه في العلم الذين نهل من علمهم، وتلاميذه الذي أخذوا ونقلوا علومه عنه، والتي وصلت إلينا عن طريقهم وبجهدهم، ثُمَّ وفاته. وأمّا المبحث الثاني فقد خُصِّص لدراسة المؤلفات العلمية لابن عرفة وعلى رأسها تفسيره المشهور للقرآن الكريم، وكذلك خُصِّص للحديث عن أقوال العلماء فيه. ثم انتهى البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

[1] الحَفْصِيُّون، أو بنو حَفْص: سلالة أمازيغية مصمودية حكمت إفريقية ما بين 1229–1574م. استمدت التسمية من أبي حفص عمر (1174–1195م) أحد أجداد الأسرة ومن رجالات ابن تومرت الأوفياء. قام ابنه من بعده الأمير أبو زكريا الحفصي1249–1228) م) بالاستيلاء على السلطة وأعلن استقلاله واستطاع أن يؤسس دولة استخلفت الدولة الموحدية في المنطقة. قضى ابنه المستنصر (1249–1277م) على الحملة الصليبية الثامنة) سنة 1270، ثم اتخذ لقب أمير المؤمنين .بعد وفاته تنازع أولاده الحكم. وجرت حروب طاحنة بينهم. في أواخر القرن ال13م انشق عن الأسرة فرعان، حكم أحدهما في بجاية والآخر في قسنطينة .في منتصف القرن ال14م استولى المرينيون على البلاد. بعد جلاء المرينيين استعادت الدولة الحفصية حيويتها مع حكم كل من أحمد1394–1370) م(عبد العزيز1434–1394) ثم (يحيى1488–1435) عرفت هذه الفترة الاستقرار وعم الأمن أرجاء الدولة. أصبحت العاصمة تونس مركزاً تجارياً مهماً. انظر: أحمد بن عامر ، *الدولة الحفصية صفحات من تاريخنا المجيد*"، (تونس: دار الكتب الشرقية) 17– 20.

**المبحث الأول: حياةُ ابن عَرفَة.**

**1. حياتُهُ:**

هو أبو عبد الله محمَّدُ بن محمَّد بن عرفة الوَرْغَميّ بفتحِ الواو، وسكون الرَّاء نسبةً إلى قرية: لوَرْغمة، وهي قرية من قُرى إفريقية[2]، التونسيّ [3]، المالكيّ، شيخُ الإسلام بالمغرب، الإمام العلامة المقرئ، المنطقيّ، يُكنَّى بأبي عبد الله، وُلِدَ في تونسَ سنة 716هـ/ 1306م، كانت له مكانتُه العلميَّة بين علماء المالكيَّة، نشأ في بيت علم ودين – فقدْ كانَ والدُه من العلماء المعروفين في عصره، تلقَّى ابنُ عرفة مختلفَ العلوم الدينيَّة واللغويَّة، ودرس بجامع الزيتونة في تونسَ، واشتُهِرَ بين شيوخه بالجِدّ والاجتهاد والعبادة، ومهارة الإتقان في العلوم الشرعيَّة، ثم عَمِلَ بالتدريس، فاشتُهِرَ بغزارة العلم ومتانة الدّين حتّى صارَ مرجِعاً، فعظُمَتْ سمعتُه، وأصبحَ أشهرَ عالم بالبلاد، وقد تولَّى سنة 773هـ/1371م إمامة جامع الزيتونة، وقُدِّمَ للخَطابة فيه، وكانَ إماماً في هذا المسجد لخمسين عاماً، وقد أُنتخِبَ للإفتاء بالعاصمة، فشاع ذكرُه وذاع صيتُه، وازداد الانتفاعُ بعلمه، وفي سنة 790هـ،1388م رحل إلى المشرق لأداء الحجّ والعُمرة، وبعدها أقام بمكّة مدَّة، فأقبل عليه مشاهيرُ علماء الحرمين الشّريفين، والبلاد المِصْرية للأخذ عنه.[4]

والصّحيحُ الذي ورد في ضبط اسمهِ (عَرَفَة)" أنّها بفتح العين والرّاء، خلافاً لمن قال بإسكان الرّاء(عَرْفَة). وكفى دليلاً على ذلك ضبط الشّيخ العلّامة المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون بخطّ يده للفظ (عَرَفَة) بفتح العين، كما وردَ في كتاب (**رحلة ابن خلدون**) التي حققها وعارضها بأصولها وعلّق حواشيها البحّاثة محمد بن تاويت الطّنجي". [5]

---

2 شمس الدين، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*"، (بيروت، لبنان، دار الجيل، 1992) 9: 240.

3 سُمِيتْ تونسُ بهذا الاسم؛ قيلَ لأنَّ المسلمينَ كانُوا لما افتتحُوا إفريقيةَ ينزلونَ بإزاءِ صومعةِ راهبٍ بترشيشَ– وهو اسمُ تونس القديم– كانَ هناكَ، ويأنسونَ بصومعتِهِ، فيقولونَ: هذهِ الصومعةُ: تؤنسُ، ولقّبوها بهذا الاسمِ.محمد بن أحمد، ابن الشماع، *الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية*"، تح: الطاهر بن محمد المعموري، (القاهرة، مصر: الدار العربية للكتاب، 1984) 37.

4 انظر: أحلام صالح، وهب، *ابن عرفة الورغمي التونسي دراسة في سيرته وعلومه الشرعية*"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، (جامعة الموصل، العراق، 2007) 171– 172: 4.

5 محمد بن عرفة، الورغمي، *المختصر الكلامي*"، تح: نزار حمّادي، (الكويت: درا الضياء للنشر والتوزيع، 1434هـ) 22.

كان ابنُ عرفة كثيرَ الاشتغال بالعلم والتّجويد والقراءات، ولذلك كان لا يُرَى إلَّا في المسجد أو في حلَقَة الدّرس، يستدعيه العلماء والسّلطان للتّشاور في الأمور الدّينية، إضافةً إلى اهتماماته اللغويَّة والأدبيَّة، وكان شعارُه الدّائم الأخذَ من كلّ علم بطرف، والإفادة دوماً من الجُهدِ الخاصّ، وليس النّقلُ الذي لا يأتي بالجديد والمفيد، يقول ابن عرفةَ في شعره: [6]

**إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَجْلِسِ الدَّرْسِ نُكتَةٌ وَتَقْرِيرُ إِيضَاحٍ لمُشكِلِ صُورَةِ**

**وَعَزْوِ غَرِيبِ النَّقلِ أَو حَلِّ مُشْكِلٍ أَوْ إِشكَالٍ أَبْدَتْهُ نَتِيجَةُ فِكْرَةِ**

**فَدَعْ سَعْيَهُ وَانظُرْ لِنَفْسِكَ وَاجْتَهِدْ وَإِيَّاكَ تَرْكَاً فَهُوَ أَقْبَحُ خُلَّةِ.**

كان صاحبَ فضلٍ عميم، ومنهج مستقيم؛ إذْ "تخرَّج على يديه جماعةٌ من العلماء الأعلام، وقضاة الإسلام، فمن رأيه تصدر الولايات، وبإشارتِه تعيَّن الشُّهود للشّهادات، ولم يرضَ لنفسه الدّخولَ في الولايات، بل اقتصر على الإمامة والخطابة بجامع الزّيتونة، وانقطع للاشتغال بالعلم، والتّصدر للتَّجويد بالقراءَات، أجمعَ على اعتقاده ومحبته الخاصةُ والعامة، كان ذا دينٍ متينٍ، وعقل رصين، وحسن إخاء، وبشاشة وجه للطّلاب، لا يفترُ عن ذكر الله وتلاوةِ القرآن". [7]

وقد "أتقن المعقولَ والمنقول إلى أنْ صارَ المرجوعُ إليه في الفتوى ببلاد المغرب، وتصدّى لنشر العلوم، وكان لا يملُّ من التّدريس وإسماع الحديث والفتوى مع الجلالة عند السّلطان، عُرِفَ بالخير والصّلاح، والتّوسع في الجهات والتّظاهر بالنّعمة في مأكله وملبسه، كما عُرِفَ بالإكثار من التّصدق والإحسان للطّلبة مع إخفائه لذلك". [8]

وبما أنَّ ابنَ عرفة قد عاش في زمن الدّولة الحفصيَّة (627هـ/982م) فلابدَّ لنا من الحديث عن زمنه التّاريخيّ الذي يُعطِي، ويبيّن لنا السّماتِ والصّفات التي تمتعتْ بها تلك الدّولة؛ فهي الدّولة الإسلاميّة الرّابعة بالبلاد التّونسيّة. مؤسسها: أبو زكريا يحيى الحفصيّ بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي، نسبةً إلى هنتاتة إحدى فروع قبيلة المصامدة البربريَّة الّتي كانتْ تقيم بالمغرب الأقصى. وقد بلغ عددُ أمراء الدّولة الحفصيّة 24 أميراً. [9] والذي يهمُّنا في الدّولة الحفصية هو الحياة

6 انظر: وهب، أحلام صالح،"ابن عرفة الورغمي التونسي دراسة في سيرته وعلومه الشرعية"، 173.

7 ابن فرحون، المالكي، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*"، تح: محمد الأحمدي أبو النور، (القاهرة: دار التراث) 2: 332.

8 شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*"، 9: 240.

9 انظر: أحمد بن عامر، *الدولة الحفصية صفحات من تاريخنا المجيد*"، (تونس: دار الكتب الشرقية) 17-18.

الثّقافية التي اتصفَتْ بالنهّضة الثقافيّة التي لم يشهدْها المغرب من قبلُ، فقد انتشر التّعليم في البلاد بوساطة الكتاتيب، والزّوايا والمدارس والمساجد، وأسهم جامعُ الزّيتونة في ترسيخ التعّليم، والذي تطوّر شيئاً فشيئاً حتّى صار فيما بعدُ أكبرَ جامعة إسلاميّة عرفتها بلادُ المغرب العربيّ. هذه النّهضة الفكريّة التي عاش في زمنها ابنُ عرفة إنَّما كانتْ عوناً له للتّحصيل العلميّ والكسب المعرفيّ، وفي نقل العلوم إلى تلاميذه من بعده، فزكاة العلم نشره.[10]

## 2. الثَّقافة في عصرِه:

المنطق أنْ نتحدَّثَ عن الحياة الثَّقافيَّة في عصره دونَ الحديث عن نظام التّعليم فيها، فقد كان يطلق على المدارس الابتدائية أو المكاتب عندهم: مصطلح"الكتاتيب" وهي مؤسسةٌ، إمّا أنْ تكونَ خاصّةً أو أنْ تكون مدعومةً من قبلِ الأوقاف، أو الخزينة العامّة، وكان المؤدّبُ في العصر الحفصي يعلّم الأطفال القراءة والكتابة، وترتيل السّور من القرآن الكريم والتي كانوا يردّدُونها بصوت واحدٍ معاً، وبسبب سلوك الأطفال، أفتى العلماءُ الحفصيون بمنع تعليم الأطفال في المساجد، احتراماً لبيوت اللهِ، ورغم أنَّ هذه الأساليب التَّعليمية في زمن الدَّولة الحفصيَّة كانت لا تخلو من وسائل الشِّدة والعقوبة للأطفال في مرحلة تعليمهم إلَّا أنّها كانت تثمر وتنتج العقول والمفكرين، ولاسيَّما[11] ابنُ عرفةَ وغيره من كبار العلماء. ثُمَّ ينتقلون في مرحلة الشبّان إلى المساجد والزَّوايا والمدارس للتَّعليم، ثُمَّ إلى الجامعة الأعلى ولاسيَّما مسجدُ الزَّيتونة الَّذي يُعدُّ بمنزلة جامعة تونس وقتها. [12]

ومن مظاهر التَّجديد في وسائل التَّعليم وتطويره ما كان ابنُ عرفة يطالبُ به الشُّيوخَ والكتَّاب على حدٍّ السَّواء"بشيء من التَّجديد؛ إذ يجب، حسبَ رأيه، أنْ تتقدَّمَ الدِّراساتُ وأنْ لا تقتصرَ على ترديد النَّتائج السَّابقة بدون تصرُّف. ولا يعني ذلك أنَّه كان يودُّ إعادةَ النَّظر في المبادئ والقواعد الكليَّة التَّقليديَّة، بل كان يودُّ، حسبما أشارَ إلى ذلك هو نفسه، تعميق النَّظريات الَّتي يتلقَّاها الدَّارسُ، بتسليط الأضواء على بعض النُّقط الغامضة، وإثارة بعض المشاكل الجديدة ". [13]

---

[10] انظر: أحمد بن عامر، *الدولة الحفصية صفحات من تاريخنا المجيد*"، 65- 66.

[11] لاسيَّما عندَ النَّحويين، لا: نافية للجنس، سيَ: اسمها، ما: زائدة، ويعرب الاسم بعدها إذا كان نكرةً يرفع وينصب ويجر، وأمّا إذا كان معرفةً فقط يرفع ويجرُّ.

[12] انظر: روبار، بزنشفيك، *تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م*"، تر: حمادي الساحلي، ط1، (بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1988) 2: 374- 379.

[13] أحمد بابا، التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*"، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرّامة، ط2، (طرابلس، ليبيا: دار الكتاب، 2000) 275.

وليس ثمّةَ شكٌّ في أنَّ ابنَ عرفة الورغميّ كان يعدُّ من أشهر علماء الدَّولة الحفصيَّة الَّذين كانتْ لهم رحلةٌ علميَّة، فدخل القاهرةَ، ولشهرته حَرَصَ العَديدُ من العُلماء على لقائه، وتسابقوا للأخذِ عنه، ومن أعلام العلماء الَّذين أخذُوا عنه **الحافظ ابن حجر العسقلانّي**.[14] الَّذي قرأ عليه العديدَ من الكتب في عدد من العلوم، وأجازه ابنُ عرفة فيها، ومنهم شمس الدِّين بن عمار المالكيّ، الذي أخذ عنه علمَ الفقه، وأجازه أيضاً، ولشهرته التقى بالسُّلطان المملوكيّ الظَّاهر **جقمق**، ثمَّ انتقل من مِصْرَ لأداء فريضة الحجّ، وفي المدينةِ المنوّرة التقى عدداً من العلماء، حرصوا على الأخذ من علومه، وما ذكرتُ من علماءَ التقوا به، وأخذوا عنه، هم الجزء اليسير، وهناك الكثير من العلماء المشهورين الذين لازموا ابنَ عرفة، ونهلوا من علومه، وأجازهم بها، ولكنَّي لم أتطرَّقْ إلى ذكرهم على التّفصيل، وذلك دفعاً للاستطراد والتّطويل، واكتفاءً بمن أُشتُهِرَ منهم، وبهذا يتّضح لنا شهرة ابن عرفةَ في زمن وعهد الدّولة الحفصيّة، وهذه الشّهرة رفعت من مكانة الدّولة الحفصيّة من النّاحية الثقافيّة في عصرها إلى يومنا هذا. [15]

### 3. شيوخُه في العلم:

إنَّ العلمَ لا يُؤخذُ إلا من منابعه، فهذا منهجُ العلماء العظماء الَّذين لا يأخذون العلم إلّا من مصدره، فلقد كان ابنُ عرفة حريصاً على أخذ العلم من مشايخه على الوجه الدَّقيق النَّافع، فالأمانة العلميَّة سِمةٌ من سمات العالم المبدع المتبحِّر المجتهد، الَّذي يبحث عن الحقيقة في مواطنها؛ لِيلتمسَ مصادرها، ويعمل بما جاءت به. "فقد أثنى اللهُ تعالى على العلم وأهله، ورتّب لمن سار في طريقِه الأجرَ والمثوبة، ورفعَ الدّرجات في الدّنيا والآخرة، ومن إكرام الله عزَّ وجلَّ للعلماء، استشهاده بهم في أعظم مشهود بهِ وأجلّه وتوحيده ، فلقد قرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة، قال تعالى:﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ**

[14] هو العالم شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الكناني، العسقلاني، المعروف بابن حجر العسقلاني. أصل عائلته من مدينة عسقلان بفلسطين، ولد بالقاهرة، وعاش بها وتوفي بها، من أئمة العلم والتاريخ، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، وهم من أشهر علماء الحديث، والفقه، كما كان من خيرة الأدباء، له تصانيف كثيرة منها شرحه على صحيح البخاري، ومنها الدرر الكامنة وغيرها. انظر: خير الدين، الزركلي، *"الأعلام"*، ط7، (بيروت، لبنان: دار العلم للملايين، 1986) 1: 178.

[15] انظر: رحاب محمود، إبراهيم، *العلاقات العلمية للدولة الحفصية مع الشرق الإسلامي(627هـ/981هـ)*، (بحث، جامعة دمياط: المجلة العلمية لكلية الآداب، 2014) مج: 3، ع 1: 160- 161.

**وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾** [16] قال الإمام القرطبيّ في هذه الآية دليلٌ على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنَّه لو كان أحدٌ أشرفَ من العلماء لقرنهم اللهُ باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء". [17]

لقد تتلمذَ ابنُ عرفة على يد ثلَّة طيّبة مباركة من العلماء الأفذاذ، الَّذين رسَّخوا قواعد العلم، ونشروا علومه بين الطَّلبة شرقاً وغرباً، ولعليَّ أذكرُ هذه الثُّلة الطَّيبة، وهم:

### 1- محمد بن يحيى بن عمر بن الحباب (749هـ):

من علماء تونسَ المشهورين" أحد معاصري ابن عبد السلام، أخذ عن ابن زيتون وغيره، وكان إماماً بارعا محققا علّامة أصوليا جدليا نحويا متفنناً، وقعَ له مع ابن عبد السلام مناظراتٍ، وعنه أخذ ابنُ عرفة الجدلَ والمنطق والنّحو، ونقل عنه في مختصره وغيره أشياءَ، وأخذ عنه الإمامُ المقريّ، والشيخ خالد البلويّ. وعَرَّفَ به في رحلته، فقال: واحد الزّمان وفريد البيان والتبيان، العديم النّظراءِ والأقران، المرتقِي درجةَ الاجتهاد بالدّليل والبرهان، العلم المشاور، أبو عبد الله بن الحباب، حَبْرُ بحر، حافظ لافظ، ذو أبَّهةٍ وبهاء، وحبوة مملوءة من علم، خالية من ازدهاءَ، وخِلْقَة سمت في مطالع الحُسن إلى أنهى كمال... انفرد بفنيّ المنقول والمعقول، واتَّحد في علمَي اللّسان والبيان فما يُجارَى، في شيء من ذلك ولا يُبارَى. كان أوّلَ طلبة رئيس الإنشاء بتونسَ، فأحرز قصب السّبق، ثمَّ عطف إلى تعليم العلوم، وعكف على تدريسها، فأفاد الأفراد، وأمتع جهابذة النُّقاد. ذكره ابنُ عرفة، وقال: دخلت مرّةً عليه دارَه فسألته عن شيء، فقال لي: انظرْ في ذلك الكتاب، وأشار لبعض كتبه، قال: فجعلت أنظرُ كتبَه فنهانِي، فقال: لا ينبغِي للشّيخ أنْ يُطْلِعَ تلميذه على جميع أسراره".[18]

### 2- ابن جابر (749هـ):

كذلك أخذ ابنُ عرفة العلمَ عن الشَّيخ الجليل العالم المشهور"محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم بن حسّان القيسيّ **الوادِ آشي** الأصل التونسيّ، يُكنَّى أبا عبد الله، ويُلقَّبُ شمسُ الدّين، ويُعرَفُ بابن جابر، وُلِدَ بتونسَ، وجال في البلاد المشرقية والمغربية، واستكثر من الرّواية، وقيّد الكثيرَ حتّى أصبح جمَّاعةَ المغرب وراوية الوقت، ثمَّ قَدِمَ الأندلس.

---

16 آل عمران 3/ 18.

17 عبد الملك، القاسم،"*ورثة الأنبياء*"، (دار القلم، الكتياب الإسلاميّة، د.ت) 5.

18 أحمد بابا، التنبكتي، "*نيل الابتهاج بتطريز الديباج*"، 399-400.

وكان رحمه اللهَ تعالى عظيمَ الوقار والأبَّهة، قويم السَّمت، قرأ القرآن على أبي جعفر بن الزَّيات بفاسَ، ثمَّ رحل إلى المشرق، ورحل إلى الحجاز مرتين، وجاور بالحرمين، وحدَّث بهما، وسمع وأسمع... لقي أئمة من العلماء المحدثين. أصبح بهم نسيجَ وحده بانفساحِ رواية، وعلّو إسناد، كان محدثاً، مقرئاً مجوداً، له معرفةٌ بالنَّحو، واللّغة والحديث، ورجاله، وكان فقههُ قليلاً، وكان والدُه معين الدين بن سلطان جابر إماماً عالماً مفيداً مقرياً". [19]

### 3- ابن عبد السلام (749هـ):

من جملة العلماء العاملين، وجمهرة المفكّرين، شيخهُ ابن عبد السّلام، وهوَ"محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير، قاضِي الجماعة بتونسَ، كان إماماً عالما حافظا متقناً في علوم: الأصول، والعربيّة، وعلم الكلام، وعلم البيان. فصيحَ اللّسان، صحيحَ النّظر، قويَّ الحجَّة، عالماً بالحديث، له أهليةُ التّرجيح بين الأقوال، لم يكنْ في بلده ووقته مثلُه... وُلِيَّ قضاءَ الجماعة ، فكان قائماً بالحقّ، ذابًّا عن الشرعيّة المطهَّرة، شديداً على الولاة، صارماً مهيبا، لا تأخذُه في الحقّ لومةٌ لائم، وتخرّج بين يديه جماعةٌ من العلماء الأعلام: كأبي عبد الله بن عرفة الورغميّ ونظرائه، موصوفاً بالدّين والعفّة والنّزاهة، مُعظَّماً عند الخاصّة والعامة، ولهُ تقاييدُ، وقد شرح مختصرَ ابن الحاجب الفقهيّ، شرحاً حسناً، وضع عليه القبول، فهو أحسنُ شروحه، توفِي سنة تسعٍ وأربعين وسبعمائة. [20]

### 4- محمد بن هارون الكنانيّ (750هـ):

كان من كبار العلماء الذين تتلمذ ابنُ عرفة على يديهم، ونهل من علمهم الغزيز، ومن أفكارهم كثيراً، وصفه ابنُ عرفة مادحاً علمَهُ؛ إذْ جعله ممّن بلغ درجةَ الاجتهاد المذهبيّ. عالمٌ وشيخ تونسيّ، علامةٌ حافظٌ مجتهدٌ، لهُ تآليفُ عديدةٌ منها: شرح مختصر **ابن الحاجب** [21] الأصليّ والفرعيّ، اتّصف بصفات العلماء المجتهدين الذين يجدون في المناظرات حلاوةً للعلم

19 ابن فرحون، المالكي، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*" 2: 299- 300.

20 ابن فرحون، المالكي، المصدر السابق، 2: 329- 330.

21 ابن الحاجب: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب: فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية، ولد في أسنا (من صعيد مصر) ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، ومات بالإسكندرية، وكان أبوه حاجبا فعرف به. من تصانيفه: الكافية في النحو، و الشافية في الصرف، و المقصد الجليل، و الأمالي النحوية، و الإيضاح في شرح المفصل للزمخشري. الزركلي، *الأعلام*،4: 211.

والمتعلّم؛ إذ كان له كثيرٌ من المناظرات والنّزاعات العلميّة بينه وبين ابن عبد السلام، بالغ **خالد البلويّ** [22] في ثنائه، وذِكرِ صفاته كونُه علماً من أعلام المعارف، نفع بما وعى في العلم، وتنفّع بما أفاد من علماء تونسَ، وقد كَمُلَ فضلُه واشتملَ على كمال عقلٍ، ازدحم عليه النّاسُ يلتمسون من علمه، برزَ في تدريسه ما برز، وأحرز من السّبق ما أحرز، ومن جلالة قدر، وسَعَة صدرٍ، وحسن خُلق، واعتدال خَلق، وسهولة عبادة، وصناعة صوغ كلام البدو والحضر، مزج الهزلَ بالجدّ إلى تآليفَ أحكمَ أصولهَا وأتقن فصولَها مع توفية الأغراضِ باختصارٍ وإيجاز، هذا مع حسن إلقاءٍ وملاحة إشارة وإيماءٍ، ونبلِ تنبيهٍ، ولطف توجيهٍ، وإصابة تنظير، وإجادة تقرير. توفي في الوباء العامّ سنة خمسين وسبعمائة. [23]

### 5- محمد بن سلمة (750هـ):

عالم من علماءِ تونسَ الذين خلّد التّاريخُ أقوالهَم، ونشر علومَهم على أيدي طلبتِهم النُّجباء، كابن عرفةَ وغيرهم،" وهو محمد بن سلمة الأنصاريّ، أبو عبد الله، أخذ عن جماعة، وأخذ عنه ابنُ عرفة الفقهَ والقراءاتِ السّبع، ووُصِفَ هذا الإمامُ بالفقيه الزّاهد العابد المقرئ، فعرض عليهِ ابنُ عرفة حِرزَ الأمانِي والعقيلة والأسرار في الكلمات النّبوية. [24]

### 6- أبو عبد الله محمد بن سعد بُرَّال (668هـ):[25]

ذكره ابن خلدون بأنّه يعود بأصله إلى جالية الأندلس، من أعمال **بَلَنْسِيَّة**، عالم قدوة مفضال، محدّث الرواية، المسند الواعية، أستاذ الأساتذة، أخذ عن مشيخة بَلَنْسِيَّة وأعمالها، وكان إماماً في القراءات لا يُلحَقُ شأوُه، من أشهر شيوخه في القراءات السبع أبو العباس أحمد بن محمد البَطَرْنِي، ومشيخته فيها وأسانيده معروفة. كما ذكره تلميذُه الشيخ خالد البلوي الذي نهل من علمه الفيّاض في رحلته المسمّاة بتاج المفرق، وأثنى عليه قائلاً: أمامُ الدُّنيا، ومبتدأ الذروة العليا، وسابق الغاية القصيا، والشيخ العالم، قدوة الأئمة وواحد أسانيد الأمة، أبو عبد الله بن بُرَّال، أبقى الله تعالى بركتَه، أوتِي من حسن اللّفظ في القرآن ما لم يُؤتَهُ

---

[22] خالد البلويّ: خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلويّ، أبو البقاء: قاض، من فضلاء الأندلسيين. كانت إقامته في قتورية، من حصون وادي المنصورة، وهو قاضيها. وحجّ، وصنف رحلته (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) أنجزه في شهر ربيع الأول سنة 767 قال المقري: كثيرة الفوائد. وأقام في عودته مدة بتونس، ولي فيها الكتابة عن أميرها. ثم قفل إلى الأندلس. الزركلي، *الأعلام*، 2: 297.

[23] أحمد بابا، التنبكتي، *ذيل الابتهاج بتطريز الديباج*"407- 408.

[24] انظر: إبراهيم شنيبه، عباس، *ترجيحات الإمام ابن عرفة في تفسيره سورة المائدة أنموذجاً* "، (رسالة ماجستير، معهد العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر، 2017-2018) 5.

[25] هكذا ضبطه ابن خلدون في رحلته (ص15)، وانظر: المقريزي: *درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة*"3: 223.

أحدٌ ممن بقى على الأرض في هذا الوقت بإجماع، حصرتُ قيامَه في ليالي رمضانَ بالأشفاع، وانتدب النّاس لسماعه من النَّواحي والبقاع، فما قرعَ سمعي ولا وقعَ في أذن قلبي، أحسنُ منه صوتاً، ولا أحلى تلاوةً، ولا أطيب إيراداً، ولا أعذب مساقاً، ولا أعجب أحكاماً، ولا أغرب ترتيلاً، ولا أجمل جملةً وتفصيلاً. [26]

بهذه الطّبقة الكبيرة من العلماء أدركنا تلك القوةَ العقليّة التي استطاع ابنُ عرفة أنْ يجمعَها، وأنْ ينطلقَ بها إلى توجيه علومه، من الأخذ إلى النَّفع، فليسَ ثمَّةَ شك في أنَّ القدرةَ والملكة والموهبة والشّهرة لا تأتي من الفراغ، بل لابدَّ لها من أساس قامَتْ عليه، وبناء استندَتْ إليه، وقاعدة بُنيَتْ عليها، ومقاييسَ أصلَّتْ لها، فحقيقةُ طلب العلم، والاجتهاد في السّعي إليه، أثمرتْ عند ابن عرفةَ في نقل هذه العلوم والمعارف إلى تلاميذه.

### 4. تلاميذُه:

الأصل في طلب العلم أنْ يكون بطريقة التّلقِي والملازمة للأشياخ، والأخذ من أفواهِ الرّجال لا من الصّحف وبطونِ الكتب، فهو الأساس وليس الأخذُ عن الكتاب فهو جمادٌ، فهذا منهج القدماء المتَّفقُ عليه في طلب العلم والعمل به؛ إذْ قد قيلَ: من دخل في العلم وحدَه، خرج وحدَه؛ أي: من دخل العلم بلا شيخٍ، خرج منه بلا علمٍ، إذ العلمُ صنعةٌ، وكلُّ صنعة تحتاج إلى صانعٍ، فلا بدَّ إذاً لتعلُّمِها من معلّمِهَا الحاذق. قال **الحافظ الذّهبيّ** [27] رحمه الله تعالى: ومَن لم يكنْ له شيخٌ، واشتغلَ بالأخذ عن الكتب، وصنّف كتاباً في تحصيل الصِّناعة من الكتب، وأنَّها أَوفَقُ من المعلمين، وهذا غلط. [28]

والحقيقة أنَّ نشرَ العلم من أهمّ الفضائل التي أودعها ابنُ عرفة في تلاميذه، فهي كما يرى الشّيخ محمد الظواهريّ مهمّةُ العلماءِ الأولى."نشر العلم وتعليم الأمّة من واجباتِ العلماء، فإنَّ العالمَ سراجٌ، وإذا لم يُنتفَعْ بضوء السرّاج فلا فائدةَ من

---

[26] انظر: محمد بن عرفة، الورغمي، *"المختصر الكلامي"* ص30.

[27] الحافظ الذهبي: محمد بن أحمد، الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، حافظ، مؤرخ، علّامة، محقِّق، تركمانيّ الأصل، مولده ووفاته في دمشق، رحل إلى القاهرة وطاف كثيرًا من البلدان، وكفَّ بصره سنة 741 هـ، تصانيفه تقارب المئة، منها: دول الإسلام، المشتبه في الأسماء والأنساب، والكنى والألقاب، و العباب في التاريخ، و تاريخ الإسلام الكبير، و سير النبلاء، والمستدرك على مستدرك الحاكم، وآخر ما نشر من كتبه: معرفة القراء الكبار. خير الدين الزركلي، *"الأعلام"*، ط15، (لبنان: دار العلم للملايين، 2002) 5: 326.

[28] انظر: بكر بن عبد الله، أبو زيد، *"حلية طالب العلم"*، ط1، (بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة، 2002) 30-31.

وجودِه، وقد قالوا أنَّ العالمَ لا يكون عالماً حتّى يَظهرَ أثرُ علمه في قومه، والعالمُ ليسَ مسؤولاً عن نفسه فقط، بل وعن عشيرته وأمّته أيضاً. فمن الواجب عليه أنْ يُعلّم ويعظ كما فعل رسولُ الله ﷺ". [29]

بعد أن عرفنَا ممَّن أخذ ابنُ عرفةَ علمَه ومعرفته، كما أسلفنا من ذوي الفضلِ والعلم وسَعَة المعرفة، الذين كان لهم السَّبقُ العلمي في عصرهم؛ إذْ فاقوا أقرانَهم، وشغلوا طلّابَهم بالبحث عن الكمال المعرفي الّذي لايكون إلا بالصّبر والمصابرة، في طلب العلم والاستمرار في منهجه وطريقه. حان دورُ ابن عرفة في نقل تلك العلومِ إلى تلاميذه، فقد أعطى ابن عرفة في سبيل ذلك كلَّ جُهدٍ، ولم تكن الدّروسُ التي قدَّمها إلى تلاميذه إلّا سيلاً من المعارف والعلوم الّتي نقلها إليهم، وحمَّلهم إيَّاها أمانةً، ونعمَ الأمانةُ العلمُ، الّذي يُدَّرسُ قراءةً من السّطور، وتنقله الألسنةُ؛ ليختزنَ في الصّدور. صدورِ تلاميذه الذين أحسنوا في الطّلب، ونالوا الشّهرةَ الواسعة بين النَّاس بإحسانهم، وقصدهم وجه الله تعالى في طلبه، ولعلّي أذكر تلاميذَه الذين اشتهروا بشهرة أستاذهم، وهم:

**1- الأُبـــّي:**

من أشهر تلاميذ ابنِ عرفةَ، وهو" محمد بن خليفة بن عمر التونسيّ الشهير بالآبِي، وهو من الشّيوخ الذين جمعوا المعقولَ بالمنقولِ، له تآليفُه الجليلةٌ منها: إكمال الإكمال في شرح مسلم في سبعة مجلدات، جمع فيها بين **المازريّ** [30] و**عياض بن موسى اليحصبيّ السّبتي** [31] مع زيادات مفيدة من كلام ابن عرفة أستاذه، وله شرحُ المدوّنة لحنون بن سعيد، وله تقييد في شرح تفسير ابن عرفة، وهو من أشهر تقاييده، أملاه من مجلسه من شروح واعتراضات الطّلاب وأسئلتهم.[32] كان يفخرُ بأستاذه وشيخه ابن عرفة، ويمدحه، ويثني عليه، ومن ذلك" قول الآبي:

**يميناً بِمَنْ أولاكَ أرفعَ رتبةٍ وزانَ بِكَ الدُّنيا بأكملِ زينةٍ**

---

29 محمد الأحمدي، الظواهري، *العلم والعلماء ونظام التعليم*"، ط2، (مصر: المطبعة العمومية، 1955) 199.

30 المارزيُّ: محمد بن علي بن عمر التَّميمي المازري، محدث من فقهاء المالكية، نسبته إلى (مازر) بجزيرة صقلّيَة، ووفاته بالمهدية. له: المعلم بفوائد مسلم في الحديث. و التلقين، و الكشف والإنباء في الرد على الإحياء للغزالي، و إيضاح المحصول في الأصول، وكتب في الأدب. خير الدين الزركلي، *الأعلام*، ط15، (لبنان: دار العلم للملايين، 2002) 6: 277.

31 عياض: هو محمد بن عياض بن موسى اليحصبي السبتي، أبو عبد الله: قاض كأبيه من أهل سبتة، دخل الأندلس وتوفي بغرناطة، له :التعريف بالقاضي عياض في ترجمة والده، طبع في المغرب، تحقيق الدكتور محمد ابن شريفة. وله شعر. خير الدين الزركلي، *الأعلام*، 6: 321.

32 أحلام صالح، وهب، *ابن عرفة الورغمي التونسي دراسة في سيرته وعلومه الشرعية*"176.

**لمجَلسُكَ الأعلَى كفيلُ بِكُلِّهَا على حينَ [33] مَا عنَها المجالسُ ولَّتِ**

**فأبقاكَ مَنْ رقَّاكَ للخلقِ رحمةً وللدّينِ سيفًا قاطعًا كلَّ فتنةِ.**

ثمَّ قال: وإنّي لبارٌّ بقسمي هذا، فلقد كنت أقيّد من زوائدِ إلقائه، وفوائد إبدائه الخمس التي تُقرأُ في مجلسه من تفسير وحديث، وثلاثة في التّهذيب نحو الورقتين كلّ يومٍ ممَّا ليس في الكتب، قدَّس الله روحه، فقد كان الغاية، وشاهد ذلك تآليفه، وناهيكَ بمختصره الفقهيّ، الّذي ما وُضِعَ في الإسلام مثلُه، لضبطه في المذهب مسائلَ وأقوالاً من زوائدَ مكمّلة، وتعريف الحقائق الشّرعية، قال: وقال يوماً: لولا خوفُ الحاجة في الكِبَر ما بتُّ وعندي عشرة دنانيرَ".[34]

**2- الشريف الإدريسي السّلاوي:**

من أبرز تلاميذ ابن عرفةَ، عُرِفَ بالفقيه الصَّالح الأفضل الإمام، وهو أحدُ الأئمة الأعلام، لزمِ ابنَ عرفة، ونهل من علومه، وأفاد من مصطلحاته، له عملٌ وفضلٌ وتقييد في التّفسير عن ابن عرفة، وذلك في مجلدين، كذلك إكمال الإكمال على صحيح مسلم، في مجلد واحدٍ، وقد اقتصر في ذلك العمل على ما جاء به ابنُ عرفة، وما ذُكِرَ في أبحاث ابن عرفة وأصحابه، وهو نفيسٌ وعظيم الفائدة، ولم تذكرِ المصادرُ تاريخَ وفاته بالشّكل الدّقيق الواضح، بل لم يقفْ صاحبُ شجرة النّور الزكّية في طبقات المالكيّة على وفاته، بالشّرح والتّفصيل وكتابته من حيثُ الزّمانُ والمكان. [35]

**3- المَسِيلِي:**

هو الشّيخ العالم المفسّر أحمد بن محمد بن أحمد المسِيلِي، أخذ عن الإمام ابن عرفة وانتفع بعلومه، له تقييدٌ جليلٌ في التّفسير، قيّده عن ابن عرفة فيه فوائدُ وزوائدُ ونكتٌ، ووقع له فيه قصّةٌ- ولعلَّها من القَصَصِ الّتي تدور في كثير من كتب التّراث للعلماء القدماء الذين يَطلبُ منهم الأمراءُ بأنْ يقدّموا لهم النّتاجَ العلميّ من تدوينهم بغيةَ الحصول على كلّ جديدٍ في كلّ

---

[33] الزّمن المبهم المضاف لجملة، و أعني بالمبهم ما لم يدل على وقت بعينه، و ذلك نحو: الحين و الوقت و الساعة و الزمان؛ فهذا النوع من أسماء الزمان تجوز إضافته إلى الجملة، و يجوز لك فيه حينئذ الإعراب و البناء على الفتح. فيكون: على حينِ، مجرور بحرف الجر(معرب)، وإن بني على الفتح: على حينَ، ظرف زمان مضاف إلى الجملة بعده( عاتبتُ المشيبَ). انظر: ابن هشام، الأنصاري، *شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب*"تح: محمد أبو الفضل عاشور، ط1(لبنان: دار إحياء التراث الإسلامي،2001) 1: 112.

[34] أحمد بابا، التنبكتي،*نيل الابتهاج بتطريز الديباج*" 466.

[35] انظر: محمد بن محمد بن عمر بن قاسم، مخلوف، *"شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"*، ط1، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، 2002)، 1: 361.

فنّ وعلم من العلوم والأصناف والمجلدات المدوّنة– وذلك أنَّه لما ألّفه سمع بذلك الأميرُ الفقيه الحسنُ ابن السّلطانِ أبي العباس الحفصيّ، فراسله فيه، وطلبه منه، فامتنعَ، وماطلَ أياماً، ثمَّ أرسل إليه وأمر رُسلهُ أنْ لا يفارقوه حتّى يسلّمه لهم، فلما رأى الشّيخُ صاحب الترّجمة الجدَّ في الأمر، أخذ منه من سورة الرّعد إلى سورة الكهف، ودفع لهم الباقِي، فمشوا بهِ، ثمَّ مات ومات الأميرُ أيضاً، وبِيعَ التّقييدُ في تركته، فسافر به مُشتريه إلى بلاد السّودان، فبقي أهلُ تونسَ لا شعورَ لهم بهِ، فلذلك كان الأصلُ نسخةً من نسخة السّودان، ومن هنا انتشر، وأصبح مشهوراً بعد ذلك، وقد كان الشّيخُ لِمَا طُولِبَ بهِ قد اختصر منه تقييداً صغيراً جداً، وهو موجودُ ببلد فاسَ، ومراكشَ بيد النّاس، وقد ذكر في بدايته أنَّه أوّلَ ما حضر عند ابن عرفة وذلك في سنة 785هـ. [36]

**4- عيسى بن أحمد الغُبرِيني:**

تلميذ بارزٌ من تلاميذ ابن عرفة، قاضٍ، محدّث، حافظ، من أكابر أعلام الفقه على المذهب المالكي، كانت نشأته في تونس، لزم ابن عرفة وأخذ من علومه، كما لزم غيره من العلماء بدافع طلب العلم والعمل له، ولي الإمامة في مسجد الزيتونة بتونس، وهو أكبر أصحابه وأكثرهم إجلالاً، أخذ عه **الثعلبي**، قال فيه:شيخنا أوحد زمانه علماً وديناً. توفي سنة: 813 هـ، أو 815 هـ. [37]

**5- محمد بن أحمد الوانُّوغِي:**

كان منهجه الفقهي على مذهب الإمام مالك، وهو نزيل الحرمين، محبٌّ وعالم من علماء العربية ومن المهتمين بعلوم: الفرائض، والحساب، والجبر، والمنطق، والمقابلة، والفقه أيضاً. كان مولده ونشأته بتونس، أخذ عن ابن عرفة وسمع عنه، كما سمع من أبي الحسن بن أبي العباس البطرنيّ، من العلوم التي تتلمذ فيها على ابن عرفة: الفقه، والتفسير، والمنطق. اتّصف بشدة الذكاء، وسرعة الفهم، وحسن الاستشهاد والإيراد في تدريسه ونقل علومه، إذا رأى شيئاً وعاه، من مؤلفاته:

- تأليف على قواعد ابن عبد السلام.

[36] انظر: أبو القاسم محمد، الحفناوي، *"تعريف الخلف برجال السلف"*، ( الجزائر: مطبعة بيير فونتانة الشرقية، 1906م)، 2: 77.

[37] انظر: عادل نويهض، *"معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر"*، ط2، (لبنان: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1980) 250.

– عشرون سؤالاً في فنون العلماء. [38]

وكان مما يُعَابُ عليه إطلاقُ لسانهِ في العلماء، ومراعاة الذين يسألونه في مسائل الفتوى، توفي بمكةَ في سَحَر يوم الجمعة في شهر ربيع الآخر سنة 819هـ. [39]

**6- ابن مرزوق الحفيد:**

من تلاميذ ابن عرفة الذين اشتهروا بالعلم والمرتبة العالية، إمام مشهور، علامة حافظ، صالح تقي ورعٌ، محقق كبير، ثقة ثبت، قدوة نبيه، فقيه مجتهد، أصولي مفسر، أستاذ مقرئ مجود نحوي لغوي بياني، عروضي صوفي، صالح عارف بالله. عُرِفَ بالتحقيقات البديعة، والاختراعات الأنيقة، والأبحاث الغريبة والفوائد الغزيرة، وقد أخذ علمه عن جملة من العلماء المعروفين المشهورين، ولعل من أهمهم أستاذه وشيخه بتونس، ابن عرفة، وكان من الذين انتفعوا من فقه ابن عرفة، كما يذكر الحافظ السخاوي، وله تآليف كثيرة ونذكر منها: شرحه على البردة، وقد سماه إظهار صدق المودة في شرح البردة، وفي علوم الحديث: الروضة، جمع فيه بين ألفيتي العراقي ابن ليون، والعراقي، ومختصر الحديقة: اختصر فيه ألفية العراقي، وأرجوزة في الميقات سماه المقنع الشافي في الف وسبعمائة بيت، وغيرها من التآليف التي لم تم بعضها كتابته كالمتجر الربيح والسعي الرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح (صحيح البخاري). وقد توفي يوم الخميس عصر رابع عشر من شعبان عام اثنين وأربعين وثمانمائة وتمت الصلاة عليه بالجامع الأعظم، وقد حضر السلطان جنازته، وحزن الناس لفقده، وسمع منه آخر بيت قبل موته يقول فيه: [40]

**إنْ كانَ سفكُ دمِي أقصَى مُرادكُم فما غلَتْ نظرةٌ منكُم بسَفْكِ دَمِي.**

والحقيقة أنَّ فضلَ العالم وقدره لا يظهر إلا في نتاجه العلمي الذي ورّثه، وجاد به على تلاميذه، فالعلماء ورثة الأنبياء، وهذا الفضل لا يتحقق إلا بالنشر والقيام بالرِّسالة العلميَّة على وجهها الكامل، فلقد قام تلاميذُ الإمام بنشر علمه وكتبه والعمل بها من خلال الدَّعوة الإسلاميَّة في الأمصار التي أقاموا بها، وإلى الطُّلاب الذين لزموا دروسهم، وأخذوا عنهم. ولعلَّ ملامحَ

[38] (عشرون سؤالاً في فنون من العلم) وفي كشف الظنون لحاجي خليفة، 92. (الأسئلة في فنون من العلم).

[39] انظر: شمس الدين، محمد بن علي بن أحمد، الداوودي، *"طبقات المفسرين"*، ط1، (لبنان: دار الكتب العلمية، 1983) 2: 62.

[40] انظر: أحمد بابا، التنبكتي، *"نيل الابتهاج بتطريز الديباج"*، 499- 506.

الفضل العلمي لدى تلاميذ ابن عرفة تظهرُ من خلال عملهم بنقل معارفه وعلومه وما يمليه عليهم إلى النُّور؛ لنأخذَ منها ونفيدَ من علومها التي لاتنتهي، فالقراءة والدراسة ميدانانِ رحبان وواسعان لكثير من التفكير والتأمل المرتبط بالمنطق وإعمال العقل والاجتهاد، فالعلم وسيلة لنهضة الأمم وسموها ورفعتها بين الناس والأمم جميعاً، فأيُّ فضل يعلو على فضل العلم، ومنزلة العلماء العاملين!، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾. [41]

**5. وفاته:**

بعد الحديث عن ابن عرفة ومنهج حياته وسيرته كان لابُدَّ للبحث من أنْ يختمَ هذا القسم بالحديث عن وفاته، من حيث التَّاريخُ والمكانُ، والذي لاحظه البحث هو أنَّ المصادرَ اختلفَتْ في تحديد تاريخ وفاته، وجاء على رواياتٍ عديدة:

فقد ذكر الشَّيخُ الصَّالحُ عبد العزيز **البُسَيلي** وهو تلميذ ابن عرف أنَّه رأى في منامه بعض معاصريه من أهل العلم،" ويعني الشَّيخ الفقيه المفتي القاضي أحمد بن حيدرة، وكان في نفسه منه شيء، فقال له: اطلبْ لي منه السَّماحة؛ لأنِّي رأيت له منزلةً عظيمةً عند الله تعالى، قال لي: نعم، فالتقيت بالشَّيخ ابن عرفة، وأخبرته بذلك، فقال لي: الملتَقَى بين يدي الله تعالى، ولعلَّ في قوله ذاك الإحساس والشُّعور بقرب أجله، ثُمَّ إنَّه قال في شعره قُبَيلَ وفاته: [42]

**بلغتُ الثَّمانينَ بل جزتُها ... فهانَ على النَّفسِ صعبُ الحمامِ**

**وآحادُ عصري مضُوا جملةً ... وعادُوا خيالاً كطيفِ المَنامِ**

**وأرجُو بهِ نيلَ صدرِ الحديثِ .... بحبِّ اللِّقاءِ وكرهِ المُقَامِ**

**وكانَتْ حياتِي بلطفٍ جميلٍ ... لسبقِ دُعاءِ أبي في المقامِ.**

وقد أشار بقوله: وأرجو..... في البيت الثَّالث إلى الحديث"**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ**"، وصدره: أوله. والمراد بهذه الأبيات بيان حال الشيخ رحمه الله تعالى قبل وفاته، كما ذكر البسيلي، ولم يحدد بتلك الأشعار تاريخًا لوفاة شيخه.

---

[41] فاطر35/ 28.

[42] انظر: أحمد بابا، التنبكتي، *"نيل الابتهاج بتطريز الديباج"*، 469– 470. وانظر: السخاوي:" *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"*، 9: 242

وجاء عند صاحب **طبقات المفسّرين** أَنَّ وفاتَه كانت:"ليلة الخميس الرَّابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانمائة، ولم يخلف بعدَهُ مثله".[43] وذكر **ابن عاشور** أنَّه توفي سنة803هـ. [44]

وجاء في **نيل الابتهاج** أنَّ وفاتَه كانت سنة 803هـ، 1401م، وكان عمره في ذلك الوقت سبعاً وثمانين سنةً وأشهرًا، وقد قال قبلَ وفاته أبياتًا خمَّسَها تلميذُه الأبيُّ: [45]

**عَلِمْتُ العُلومَ وعلَّمتُها ... ونِلْتُ الرِّئاسةَ بَلْ حِزْتُهَا**

**وهَاكَ سِنِينِي عَدَدْتُها ... بَلَغْتُ الثَّمانينَ بَلْ جِزْتُهَا**

**فهانَ على النَّفسِ صعبُ الحِمَام**

**فلا لِي في الورَى رَغبَةٌ ... ولا فِي العُلَى والنُّهى بُغيّةٌ**

**وكيفَ أرجَى ولو لحظةً ... وآحاد عصرِي مضُوا جملةً**

**وعادُوا خيالاً كطيفِ المَنام**

**ونادَى الرَّدى بِي ولالِي مغيثٌ ... وحثَّ المطيَّةَ كلَّ الحثيثِ**

**وإنِّي لراجٍ وحبِّي أثيثٌ ... وأرجُو بهِ نيلَ صدقِ الحديث**

**بحبِّ اللِّقاءِ وكُره المُقام**

**فيارِبِّ حقِّقْ رجاءَ ذليل ... ويحظَى بدارِكَ عمَّا قليل**

**فيمسِي رجائِي بموتٍ كفيل ... وكانَتْ حياتِي بلطفٍ جميل**

**لسبقِ دُعاءِ أبي في المقام.**

---

43 شمس الدين، محمد بن علي بن أحمد، الداوودي، *"طبقات المفسرين"*، 2: 238.

44 انظر: ابن عاشور، *"التفسير ورجاله"*، 104.

45 انظر: أحمد بابا، التنبكتي، *"نيل الابتهاج بتطريز الديباج"*، 469- 470.

ولعلَّ الذي يذهب إليه البحثُ هو عدم وجود تاريخ محدَّد لوفاة ابن عرفة، فالرِّوايات متعدِّدة حول ذلك؛ إذ يذكر صاحبُ "**عنوان الأريب**" أنهَّا كانت يوم" الثُّلاثاء التَّاسع عشرَ من جمادى الأولى سنة 803هـ، وقد اعتمد في هذا التَّاريخ على ماجاء في كفاية المحتاج، ويرى أنَّه الأصحُّ من بين الرِّوايات الأخرى. بينما يذكر صاحبُ"**الحلل السندسية**" أنَّ وفاتَه كانت في الرَّابع والعشرين من جمادى الثَّانية سنة 803هـ. [46] والرَّاجح في البحث أنَّ وفاتَه كانت سنة 803هـ، كما أسلفنا، وكما ذكرت أغلبُ المصادر التي ترجمت لحياته، وتناولت تاريخَ وفاته، وتحديد كم سنة عاش.

**المبحث الثاني: مؤلفاته وأقوال العلماء فيه.**

**1- مؤلفاته:**

انطلاقاً من المقولة المشهور: قد مات قومٌ وهم في النَّاس أحياءُ، ومن أهميّة العلم ودوره في حمل الرِّسالة، وتناقلها عبر الأجيال، جيلاً بعد جيلٍ، ترك لنا ابنُ عرفة ذخيرة علميَّة من المؤلَّفات التي ما تزال تدرَّس إلى يومنا هذا في كثير من المدارس والمعاهد والجامعات، كذلك في بعض المناطق القديمة التي تعرف بالكتاتيب، وهي التَّدريس على منهج السَّلف، في حلقَات المساجد، والمحافل اللُّغويَّة والأدبيَّة على السَّواء، فقيمة العلم تبقى صدقة جارية لصاحبها حتَّى بعد موته، وذلك منهج العلماء في نقل العلم، ورفع الهمَّة، وشدِّ العزائم على مسالك الطَّلبة، ومداخل العلماء، ولعلَّنا نذكر أَهمَّ الآثار العلميّة التي نتجت عن تدريس ابن عرفة، وعن جهد تلاميذ في التَّدوين ونسخ هذه العلوم لتصلَ إلينا كما حملت عنهم:

1- **تفسيره للقرآن الكريم:**

لقد آثر البحث بأن يبدأ الحديث عن مؤلَّفات ابن عرفة بالتَّعريف بمؤلَّفه **(تفسير القران الكريم)**؛ لأنَّه المصدرُ والمرجع الأساس لهذا الرسالة، فأهميته تستدعي الكلام عليه أولاً قبل غيره من المؤلفات، ورغم أن منهج ابن عرفة وفتاويه قد غلبت على كثير من أبواب التفسير وصفحاته، وقد صبغته شخصيته بالفقيه الأول، إلا أن اللغة في هذا التفسير قد استحوذت على قسم غير قليل من الأبواب والشذرات في طيّات هذا السفر المبارك النافع، وقد رواه عنه تلميذه الأبي، الذي شهد له ابن عرفة بالمشيخة، والسبق في طلب العلم، والأخذ عنه، كذلك رواه عنه تلميذه المجتهد الثاني **البسيلي**، الذي دوّن عن شيخه ما أورده

[46] انظر: العالية شعراوي، *"تفسير ابن عرفة برواية البسيلي دراسة وتحقيق لسورة الأعراف"*، (رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، 2006)، 66.

من أقوال وآراءَ، وفتاوى، ومذاهب في علم الكلام، والنحو ، والصرف، والبلاغة، والبيان، والفقه، وغير ذلك، وقد سمّاه التَّقيد الكبير. ورغم أن ابن عرفة لم يدون هذا التفسير بيده، وقام بشرحه ونقل علومه إلى تلاميذه الذين دونوا ونقلوا عنه؛ إلا أن هذا لا يُنقِص من أهميَّة هذا التَّفسير، وقد طُبِعَ، وحُقِّقَ بتحقيقات عديدة، وسيفصّل البحث الكلامَ عليه في هذه الرسالة تفصيلاً وليس إجمالاً إن شاء الله.

**2- المختصر الفقهي، أو"المختصر الكبير":**

هو كتاب كبير الحجم، كثير النفع والفائدة، متخصص بالفقه المالكي، وهو مذهب ابن عرفة في الفقه، بدأ تأليفه سنة 772هـ، وانتهى منه سنة 786هـ، وقد جمع فيه مسائل المذهب المالكي، بدأ في كل باب بالتعريف الفقهي المناسب لهذا الباب، ثم انتقل إلى الحديث عن المسائل التي تندرج تحت هذا الباب، والآراء الفقهية حولها، واعتمد كثيراً فيه على المدونة.[47] ونقل آراء فقهية منها كابن الحاجب، وابن عبد السلام، وغيرهم من أعلام الفقه المالكي، وكان ينسب القول إلى صاحبه، ويناقش المسألة من وجوهها كافةً، وأصبح المختصر الفقهي مشتهراً بين الناس وطلبة العلم وله أسماء عديدة، منها"المبسوط في الفقه، التقييد الكبير في المذهب، اختصار مجموع ما ألفته المالكية في الفقه"[48] وقد أصَّلَ ابنُ عرفة من خلال مختصره الفقهي المنهج الفقهي على المذهب المالكي؛ إذ"خرجَ به عن نطاق الالتزام الَّذي ضربَ على المذهب بمتابعة طريقة اختصار شروحات المدوَّنة؛ كابن الحاجب، وخليل بن إسحق، فبعثَ في المختصر الأنظار المهجورة، والأقوال المتروكة منذُ القرن السَّادس، ووضعها مع أقوال المصطلح بين الفقهاء على الأخذ بها تشهيراً وترجيحاً واختياراً، كُلَّ ذلك على بساط واحد من النَّقد والتَّحقيق، والمقارنة والاستدلال.[49]

وَقدْ شرحَ ابنُ عرفةَ أسبابَ تأليفهِ لمختصره الفقهيّ بقوله في مقدمة تأليفه:"فهذا مختصر في الفقه المالكيّ، قصدت فيه جمع مايحصل بهدي الله تحصيله ذكر مسائل المذهب، نصًّا وقياساً، معزوة أقواله لقائلها، أو ناقلها إن جُهِل، فلا إجمالَ ولا التباسًا، وتعريف ماهيَّات الحقائق الفقهيَّة الكليَّة، لما عرض من النَّقل والتَّخصيص، واعتبار الجعلية، والتَّنبيه على مالا عاصم

[47] المدونة الكبرى: هي مجموعة من الأسئلة والأجوبة عن مسائل الفقه وردت للإمام مالك، ورواها عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون الذي جمعها وصنفها، ورواها عن عبد الرحمن بن القاسم العتقي عن الإمام مالك بن أنس، وتنسب أحيانا إلى سحنون، لأنه رواها، فيقال مدونة سحنون.

[48] محمد بن عرفة الورغمي التونسي، *المختصر الفقهي*"، حافظ عبد الرحمن محمد خير، ط1(دبي: مؤسسة خلف أحمد الحبتور للأعمال الخيرية، 2014) 1: 29.

[49] محمد بن عرفة الورغمي التونسي، المصدر السابق، 1: 55.

منه من غلط ووهم واهم، ورد تخريج أو مناقضة بفرق قائم، والاعتماد على المتواتر من الحديث، قولهﷺ:**(إنّما الأعمالُ بالنيَّات)**[50]. والاعتصام بنتيجة مقدمتي حال الناظر فيه، علماً وديناً عاجلاً، مُستشهداً بقول المدونة على من على غيرها اعتمد، أو غير سبيلها اقتصد، وذاكره لذاته مقررًا ، أو لحاجته لتفسير أو تقييد محررًا، سالكًا في ذلك وسط الإيجاز والاختصار، حرصًا على سرعة الفهم والاستبصار، مستعينًا بالله وعليه متوكلاً، وإيّاه أسأل أن يجعله لكل خير محصلاً، ولكل فضل متممًا ومكملاً". [51]

### 3- المختصر في المنطق:

من مؤلفاته ذات الأهمية، والتي ألفها لتلاميذه، وله أثره التعليمي من بين مؤلفاته الأخرى، ولا مجال للشك بنسبة هذا الكتاب إليه، فالكثير من المصادر تنسب إليه تأليفاً بعنوان" المختصر في المنطق" وكذلك المخطوطات التي وصلت إلينا عن هذا الكتاب تثبت ذلك أيضًا، وقد حققه وقدم له الأستاذ **سعد غراب**، ونشره مع كتاب الجمل لأفضل الدين الخونجي(590هـ-646هـ) ولم يبيَّن المحقق زمنَ تأليفه، ولكن يبدو أنَّه كان قبل الانتهاء من تأليفه للمختصر الشَّامل، كما ذكر المحقق. ولهذا المختصر نسختان معتمدتان في التحقق":

1- المخطوط الأول من المجموع رقم 16509(ورقات 1- 19- وجه)، الموجود بالمكتبة الوطنية بتونس، وهي بخط تونسي دقيق جدًّا غير واضح في بعض الأحيان، وكان الفراغ من نسختها ليلة السبت الثاني من المحرم عام849هـ، الموافق لـ: 10 أبريل عام: 1445م. علي يد بلقاسم ابن محمد بن يحيى المغراوي ببجاية، وقد اعتبرت هذه النسخة نسخة أصلية، وتمَّت الإحالةُ على ورقاتها في غضون تحقيق سعد غراب للمختصر في المنطق لابن عرفة.

2- المخطوط الأول من المجموع رقم 18523(ورقات 2 ظهر- 69 وجه) الموجود بالمكتبة الوطنية بتونس، وهو غير مؤرخ، ولكن نسخته تبدو قديمة. [52]

---

[50] متفق عليه، أخرجه البخاري: 1: 13، في باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: 1، ونص الحديث:" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». رواه البخاري ومسلم.

[51] محمد بن عرفة الورغمي التونسي، *المختصر الفقهي*"، حافظ عبد الرحمن محمد خير، 1: 61-62.

[52] انظر: ابن عرفة، *المختصر في المنطق*"، تح: سعد غراب (تونس: مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، د.ت) 44- 45.

**4- الهداية الكافية الشَّافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية:**

وهو كتاب من كتب التعريفات الفقهية في العهد الحفصي، وأصل هذا الأثر الحدود الفقهية التي أودعها الإمام ابن عرفة في ديوانه الفقهي العظيم والمسمّى بالمختصر، وقد نقلَ هذا العملَ المبارك إلينا ابنُ الرَّصاع الذي أخذه عن الكثير من تلاميذ ابن عرفة، وهو الذي سماه"الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية" وقد شرحه ابن الرصاع شرحاً دقيقاً واسعاً، لم يقف به عند حدِّ التَّعريفات التي أطلقها ابنُ عرفة على المصطلحات الفقهية، والتي حملت طابع الاختصار وحسن التبسيط، بل إنه راح يذهب به عميقاً؛ إذ أدخل وجاء بتعريفات لم يذكرها ابن عرفة أستاذه، وذلك منتقيات من الكتب الفقهية، كان يختارها، ويشرحها،"[53] كذلك لم يكن شرحه للحدود شرحًا لفظيًا جافًا، بل كان في أغلب الأحيان"يتوسَّع ويعرض المباحث ويورد الاعتراضات ويتصدى للجواب، ويقابل أقوال ابن عرفة بعضها ببعض، كما يقابلها بأقوال غيره في الموضوع نفسه، ويقارن ويرجح ويتدخل تدخلاً بارزًا يتجلَّى معه شخصيته العلميَّة وثقافته الواسعة في الفقه والمنطق والأصول والعقيدة والجدل. كما ضمنه كثيرًا من أقوال الفقهاء ومن أبحاث مجالس ابن عرفة وآراء تلاميذه الذين أخذَ الرَّصاعُ عن الكثير منهم، وهيَّأوا له أن يفهم مقاصد شيخهم، ومكنوه من أن يصبح مؤهلًا لتفسير نصوصه، ولرد الاعتراصات التي وُجِّهَتْ إليها، والتي افترضها إثراءً للبحث وتوسيعاً لمجاله".[54]

وقد حقَّقَ هذا الكتاب كلًا من: محمد أبو الأجفان، والطَّاهر المعموري، وقد اعتمدا على ثلاث نسخ مخطوطة في دار الكتب الوطنية بتونس، كذلك استعانا بالطبعة الفاسية، ولاحظا تطابق الطبعتين وعدم الاختلاف بينهما، ولعلَّ هذا التَّطابق يعود برأي المحقِّقين إلى اعتماد النُّسخة التُّونسية على الفاسية، وقاما في منهجمها بالتَّحقيق بإخراج النَّص سليماً، وعملا على المحافظة على تنظيم الأبواب كما صنَّفها ورتَّبها ابنُ عرفة، وفق تقسيمه وملاحظاته، وكذلك العمل المرتبط بثبت الآيات القرآنيَّة، وتخريج الأحاديث الواردة، وغير ذلك من متطلبات التحقيق كترجمة الأعلام ....إلخ.

ولابن عرفة مؤلفات أخرى اجتهد تلاميذه بالرِّواية، أو النَّقل عنه، أو التَّدوين، بعضها دُرِسَ، وحُقِّقَ، وبعضها مازال مخطوطة، تحتاج إلى التَّحقيق، والدِّراسة، والطِّباعة، ونذكر منها:

---

[53] محمد الأنصاري الرصاع، *الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية"*، (شرح حدود ابن عرفة)، تح: محمد أبو الأجفان، الطاهر المعموري، ط1، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1993) 6.

[54] محمد الأنصاري الرصاع، *الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية"* 6.

5- اختصار الموفي في الفقه.

6- المختصر الشامل في التوحيد.

7- الحدود في التعريفات الفقهية.

8- المختصر في علم الكلام.

9- المختصر في علم اللغة والنحو.

10- الطرق الواضحة في عمل الناصحة.

11- شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه.

12- التنبيهات على الكتب المدونة في الفقه.

13- المبسوط في سبعة أسفار.

وقد جمع البحث أسماء هذه المؤلفات من خلال الصفحات، أو المقالات، أو كتب التَّراجم، التي تناولت ابن عرفة، ونتاجه العلمي، ولكن دون تفصيل القول فيها، بل الوقوف على ذكر أنهَّا مازالت نسخة، أو أنَّها في مرحلة الدِّراسة، والسَّعي للتَّحقيق. وهذه المؤلفات التي ذُكِرَتْ ونُسِبَتْ إلى الإمام ابن عرفة إنَّما تدلُّ على غزارة علمه، وسَعَة الاطِّلاع لديه، كما تبّين تنوعه في ضروب العلم ومسالكه، وليس ذلك إلا من باب التَّمكين، والتَّنويع. ولاننسَ أن الإمام في منهجه التأليفي كان يعتمد على الإملاء في كثير من دروسه وأن ماوصلنا من كتبه هي من نتاج تلاميذه الذين اجتهدوا في هذا الباب نقلاً لعلمه وإحياءً لاجتهاداته وفنونه التَّعليميَّة.

**2- أقوال العلماء فيه:**

إنَّ القيمةَ العلميَّة التي تظهرُ لكثير من العلماء تنبع من الأقوال التي وصلتنا عنهم، فلقد كَثُرَ المدحُ والثَّناءُ له من قبل تلاميذه، كما أثنوا عليه في حياته وبعد موته، كذلك أثنى عليه من الكتَّابُ الذين ترجموا حياته، و كذلك كتب الأعلام التي ذكرت

سيرته، ولنبدأ بالحديث عن مواقف العلماء منه وأقوالهم فيه من العالم اللُّغويّ **السُّيوطي**[55]، الذي ترجم له، وذكره، قائلاً:" برعَ في الأصول، والفروع، والعربيّة، والمعاني، والبيان، والقراءات، والفرائض، والحساب. كان رأسًا في العبادة، والزُّهد، والورع، ملازمًا للشُّغل بالعلم، رحل إليه النَّاسُ وانتفعوا منه، ولم يكن في الغرب من يجري مجراه في التَّحقيق، ولا من اجتمع له من العلوم ما اجتمع له".[56]

وأثنى عليه **الرَّصاع**[57]، ووصفه بشيخ الإسلام، وعلم الأعلام، وذكره في حدوده، قائلًا:" الذي افتخرت به أمَّةُ النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام، الشَّيخ الولي العلم الأعلم الصَّالح الزَّكي القدوة الأسوة السنّي، العارف على التَّحقيق، الهادي إلى الطَّريق، الدَّال على التَّدقيق، صاحب السَّعد والسُّعود، واليمن والتَّوفيق، شيخ كثير من شيوخنا، نهاية العقول في المنقول والمعقول في وقتنا وقبل وقتنا، بقيَّة الرَّاسخين من ساداتنا، آخر المتعبِّدين من سلفنا، سيدنا ومولانا وبركتنا أبو عبد الله محمد بن عرفة رحمه الله تعالى ورضي عنه ورحم سلفه، وأعاد علينا فضله وصيرنا ممن عظّم قدره وعرفه، ومنَّ علينا بما منَّ عليه، من سعادة الدنيا والدين، الذي كان عليه، وقد أجرى الله تعالى في قلوبنا محبته، وأسبغ علينا نعمه، لما تواتر لدينا من حسن طريقه وهديه، وغزارة علمه وبلاغة فهمه، وقوّة عزّه لطاعة ربّه، فزرع الله في قلوب المؤمنين محبته وألقى في أفئدتها مودته". [58]

---

[55] السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي. ولد في القاهرة 849 هـ1445م . إمام، حافظ، مفسر، مؤرخ، أديب، فقيه شافعي. له نحو 600 مصَّنف. نشأ في القاهرة يتيماً؛ إذ مات والده وعمره خمس سنوات، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس و أصحابه جميعاً، فألف أكثر كتبه. وكان الأمراء والسلاطين يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وبقي على ذلك إلى أن توفي. وكان يلقب بـ«ابن الكتب»؛ إذ ولد في المكتبة. انظر: إياد خالد الطباع، *الإمام جلال الدين السيوطي مَعْلَمَةُ العلوم الإسلامية"*، ط1، (دمشق: دار القلم، عام: 1996) 27– 38.

[56] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،"*بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*"، تح: محمد أبو الفضل، ط2، (دمشق: دار الفكر، عام: 1979) 1: 229.

[57] الرصاع: هو أبو عبد الله محمد بن قاسم الرصاع. المولود بتلمسان، والتونسي تربية ومنزلاً وقراءةً، والمشهور بالرَّصَّاع، لزم ثلة مباركة من الشيوخ، وتتلمذ على يده كثير من الطلبة، من مؤلفاته: شرح حدود ابن عرفة– الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية– شرح الأسماء النبوية– كتاب في الصلاة على النبيﷺ– فهرست الرصاع. انظر: محمد الأنصاري الرصاع، *الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية"* 11–34.

[58] محمد الأنصاري الرصاع، *الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية"*، 59– 60.

وكان **ابن حجر**[59] من الذين ذكروا فضله، وانزلوه منزلته العالية لفضله وسعَة عمله، قال عنه:" شيخ الإسلام بالمغرب، سمع وأخذ العلم عن أكابر علماء عصره، كان معظماً عند السُّلطان، وكان شديد الدِّين متين الصَّلاح، اشتغل ومهر في الفنون وأتقن المعقول حتَّى صار المرجع في الفنون في بلاد المغرب، أجازني في بعض علومه وكتب لي تلك الإجازات بخطّه. [60]

كما ذكر **ابن عاشور**[61] محمد بن عرفة الورغمي في حديثه عن التَّفسير عند علماء القرن الثَّامن، وقد بيَّن فضل ابن عرفة في ذلك العصر، ودور تفسيره في نشر علم القرآن، وكُلِّ مايتعلَّق به من اللُّغة والنَّحو والبلاغة والمعاني، وأثنى عليه في مَعرِض حديثه عن المدارس بتونس قائلاً فيه:" القدوة العظمى، والمثل الأعلى في إمام التفسير والشريعة، وفنون الحكمة الإسلامية، الشيخ أبي عبد الله محمد ابن عرفة الورغمي، الذي ملأ صيته، وطارت شهرته في عصره، فكان النَّاس يشدُّون الرِّحال إليه من كل مكان، قاصدين الأخذ من علمه، ويأتون إليه من البلاد الأندلسيَّة، والبلاد الليبيَّة، ومابينهما من الأقطار الضَّاربة إلى البلاد السُّودانيَّة وراء الصَّحراء؛ ليتتلمذوا لابن عرفة بتونس، ويتخرَّجوا عليه. [62]

وأثنى عليه **القاضي ابن الأزرق** في الحال والفضل، فقد بلغ أقصى مراتب الغاية العلمية، لايُنَكَرُ مَقَامُهُ في المجاهدة العلميَّة؛ إذ قد حدَّثه عنه أبو عبد الله الزَّلديوي نزيل تونس ووصفه بالعلم البحر فتصانيفه تشهد على فضله وعلمه، كما اتَّصف بالمزيَّة العليا في العبادة؛ إذ لايُرَى ولا يسُمَعُ مثلُهُ في الفقه من صيام وقيام وتلاوة للقرآن، إلا مايذكر عن رجال الرِّسالة القشيريَّة فلا تراه أبداً إلا صائماً ويقرأ عشرين حِزباً من ساعة معتدلة وقيامه معلوم، إذ كان يقوم العشر الأواخر في رمضان في جامع

---

59 ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي، العسقلاني، مُحدِّث وعالم، شافعي المذهب، لُقب بـ: شيخ الإسلام، وأمير المؤمنين في الحديث، أصله من عسقلان، ولد سنة 773 هـ. توفي والده وهو صغير. درس العلم، وتولّى التدريس. ولع بالأدب والشعر. شرحَ صحيح البخاري في فتح الباري، وله مصنفات أخرى، عدَّها السخاوي 270 مصنفًا. من أشهرها: تقريب التهذيب، لسان الميزان، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ألقاب الرواة، وغيرها. توفي في 852 هـ بالقاهرة. انظر: ابن حجر العسقلاني، *"تحفة النبلاء من قصص الأنبياء"*، غنيم بن عباس بن غنيم، ط1(دبي: مكتبة الصحابة، عام: 1998) 7: 22.

60 انظر : أحمد بابا، التنبكتي، *"نيل الابتهاج بتطريز الديباج"* 466.

61 ابن عاشور: محمد الطَّاهر، ابن عاشور. ولد في تونس سنة (1296) هـ. من أسرة علمية عريقة. برز في عدد من العلوم ونبغ فيها، كعلم الشريعة واللغة والأدب، وكان متقناً للُّغة الفرنسية، وعضواً مُراسَلاً في مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة. تولَّى مناصب علميَّة وإداريَّة بارزة كالتَّدريس، والقضاء، والإفتاء. تم تعيينه شيخاً لجامع الزيتونة. من مؤلفاته: تفسيره المسمَّى:"التحرير والتنوير" و"مقاصد الشريعة" وغيرها. توفي في تونس سنة (1394). انظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، *"الأعلام"*، ط15، (بيروت: دار العلم للملايين، عام: 2002) 4: 97.

62 انظر:محمد الفاضل بن عاشور، *"التفسير ورجاله"*، ط2، (مصر: مجمع البحوث العلمية في الأزهر، عام: 1970) 105.

الزَّيتونة إلى وقت وفاته. يحضر عند القراءة والختم من كبار أعلام تونس وطلبتها صغارًا وكبارًا، وكانت من الغرائب في قراءة عالم على عالم وقتها، وهذا يدلُّ على علو منزلته وفضله في العلم على أقرانه من ذوي العلم آنذاك. [63]

وأثنى عليه تلميذه **ابن فرحون**[64]، وذكر صفاته وفضله بقوله:" الإمام العلّامة المقرئ الفروعي الأصولي البياني، المنطقي، شيخ الشُّيوخ، وبقية أهل الرُّسوخ. له التَّصانيف الغزيرة والفضائل العديدة، انتشر علمه شرقًا وغربًا، فإليه الرِّحلة في الفتوى في المذهب، والاشتغال بالعلم والرِّواية، حافظاً للمذهب، ضابطاً لقواعده، إمامًا في علوم القرآن، مجيداً في العربيَّة والأصلين، والفرائض والحساب، وعلم المنطق، وغير ذلك".[65]

كما أثنى عليه تلميذه **ابن عمّار**، وذكر حادثة قدومه إلى القاهرة وإقبال النَّاس عليه، للتَّفقه على يديه، وذلك عندما قدمها بقصد الحج ومر بها سنة وثلاث وتسعين وسبعمائة، فأخذ عنه المصريون، قال عنه:"إمام حافظ وقته، تُفُقِّهَ بمذهبه مشرقاً ومغرباً، انتهت الرِّياسة إليه بقطر المغرب، أجمع في التَّحقيق والفتوى والمشاورة مع خشونة جانب وشدَّة عارض، وبراءة في المداهنة، وحذر من المحاسنة، وبلغني أنَّه كان يقصده أولي الأحوال والخطوات بالقراءة والتفقه في كل يوم من مسافة بعيدة، وأنَّ بغلةَ الشَّيخ نفقت ودامت أيَّاماً لا يتعرَّضُ لها كلبٌ، فلمَّا بلغه ذلك قال لمن تعجَّب منه، أتعجبون من ذلك وقد قرأت على ظهرها القرآن من العدد آلافاً" [66]

كما أثنى عليه تلميذه أبو الطيب **ابن علوان**، قال:"كان شيخنا ابن عرفة إماماً علامةً محققاً مدرّساً خطيباً صالحاً حاجًّا، فاز من كُلِّ فنٍّ بأوفر نصيب وحاز في الأصول والفروع السَّهم والتَّعصيب، رمى لهدف كُلِّ مكرمة بسهم مصيب، وأطلعت سماء إفادته ذراري علم عيشهم وإبل مرعاهم بعد موته دائمة، وبركاته بعد وفاته وتلامذته وأوقاته قائمة، جمع بين طرفي العمل

---

63 انظر: أحمد بابا، التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*" 466- 467.

64 ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، عالم بحاث، ولد ونشأ ومات في المدينة. وهو مغربي الأصل، نسبته إلى يعمر بن مالك، من عدنان. رحل إلى مصر والقدس والشام سنة ٧٩٢ هـ. وتولى القضاء بالمدينة سنة ٧٩٣هـ، ثم أصيب بالفالج في شقه الأيسر، فمات بعلته عن نحو ٧٠ عاما. وهو من شيوخ المالكية له:(الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب المالكي)، (تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ) (درة الغواص في محاضرة الخواص ) (طبقات علماء الغرب) (تسهيل المهمات) في شرح جامع الأمهات لابن الحاجب، انظر: أبو القاسم محمد، الحفناوي، *تعريف الخلف برجال السلف*" 1: 197- 198.

65 ابن فرحون، المالكي، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*" 2: 331- 332.

66 شمس الدين، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*" 9: 242.

والعلم، وشغل أوقاته بخير، فليس وقت منها بهزل، أيامه صائم ولياليه قيام وركوع وسجود، جاهد هجوم اللَّيل وآثر السُّجودَ على النَّوم والهجود". [67]

وتحدَّث عنه صاحبُ كتاب **الدَّولة الحفصيَّة صفحات خالدة من تاريخنا المجيد**، وقد بيَّن منهجَه في تأليفاته، والَّتي قضى في تصنيفها ونقل علومها إلى تلاميذُه اِثني عَشَرَ عاماً، والتي أخذ عنها العلماء، قال:"امتاز بحسن سبك المسائل، ومتانة جمعها، وبراعة تفريعها وتقنينها، وبضطبها بـ(التَّعريف) الذي أصبح عمدة في الميدان العلميّ إلى أنْ صارَ يشترط ذكره في الموضوع الكتابي المسمّى بـ(المقالة) في امتحان شهادة التَّطويع بجامع الزَّيتونة". [68]

كما ذكره **ابن الجزري** [69] في كتابه **غاية النهاية في طبقات القراء** على لسان أحد طلَّابه، قال" ولم تزلِ الحجَّاجُ ترد علينا بأخباره السّارة حتّى كنت في الدِّيار المصريَّة سنة اثنتين وتسعين، فقدمها حاجًّا، فاجتمعت به بالقاهرة وحججنا جميعاً، فاجتمعنا بالحرم الشَّريف، فاستجزته تجاه الكعبة المعظمة، فأجازني، وأولادي جميعاً، ثُمَّ رجعنا إلى الدِّيار المصريَّة، فاجتمعت به كثيرًا، وأنشدته وأنشدني، وتوجَّه إلى بلاده، ولم أرَ مغربيًا أفضل منه". [70]

وقال عنه تلميذه **أبو ظهيرة المكي** بعد أن ذكره في معجمه:"إمامٌ علامةٌ برع أصولاً وفروعًا ومعاني وبيانًا وقراءة وفرائض وحسابًا، رأسًا في العبادة والزُّهد والورع ملازمًا للشُّغل بالعلم، رحل إليه النَّاسُ وانتفعوا به".[71]

ولقد أثنى عليه **السَّخاوي** [72] ومدح علمه وشهرته، الَّتي تناقلها النَّاسُ في عصره، ودامت بعده لفضله وخدمته للعلم عامةً، وللقران على وجه الخصوص، وكان يعتمد في ذلك على التَّدريس منهجًا، ومنصبًا لنقل علومه بفنونها، وفوائدها؛ إذ" كان

---

67 أحمد بابا، التنبكتي، *ذيل الابتهاج بتطريز الديباج*" 467.

68 أحمد بن عامر، *الدولة الحفصية صفحات من تاريخنا المجيد*" 146.

69 ابن الأثير الجزري: محمد بن محمد بن عبد الكريم، مجد الدين، المحدث اللغوي، وُلِدَ في جزيرة ابن عمر قرب الموصل، سنة 544هـ، ونشأ بها، ثم انتقل إلى الموصل سنة 565هـ. برع ابن الأثير الجزري في الفقه والحديث والأدب والنحو، حيث قرأ النحو على أبى محمد سعيد بن المبارك بن الدهان، ثم على أبي الحرم مكي بن ريَّان المَاكِسِينِيّ الضرير، وسمع الحديث من أبى بكر يحيى ابن سعدون القرطبي، ومن خطيب الموصل أبي الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي، وغيرهما. طلب منه صاحب الموصل أن يتولى الوزارة، فاعتذر. انظر: محمد حسن عقيل موسى، *نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي*"، (السعودية: دار الأندلس، د.ت) 1524 – 1525.

70 شمس الدين، ابن الجزري،"*غاية النهاية في طبقات القراء*"، نسخة اعتمدت على النسخة الأولى التي عني بنشرها: ج . براجستراسر، ط1(لبنان: دار الكتب العلمية، عام: 2006) 2: 214.

71 أحمد بابا، التنبكتي، *ذيل الابتهاج بتطريز الديباج*" 468.

72 السخاوي: هو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد الهمداني المصري، المعروف بالسخاوي، المكنى: بأبي الحسن، من كتبه: القرء وكمال الإقراء، وهداية المرتاب، ومنظومة متشابه كلمات القرآن. انظر: الزركلي،"*الأعلام*"، مرجع سابق، 4: 232.

لايملُ من التَّدريس وإسماع الحديث والفتوى مع الجلالة عند السُلطان، والدِّين المتين، والخير والصَّلاح والتَّوسع في الجهات والتَّظاهر بالنِّعمة في مأكله وملبسه والإكثار من التَّصدق والإحسان للطَّلبة مع إخفائه لذلك. وقد اجتمعَ على محبته الكثيرُ من النَّاس خاصَّتهم وعامَّتهم، وليس ذلك إلا من عظيم العلم، وعلو الهمَّة، وغزير المعرفة. [73]

كما ذكره تلميذه **الأُبيُّ**، وأثنى على صفاته ومناقبه الجليلة، قال:"كان شيخنا من حسن الصورة والكمال على ما هو معروف، وكان شديد الخوف من أمر الخاتمة، يطلب كثيرًا الدُّعاء له بالموت على الإسلام ممن يعتقد فيه خيراً، أعطاني يومًا شيئًا مما يتصرف به الأولاد وقال: أعطه للولد الذي عندك وكان ولدًا سباعيًا، وقل له يدعو لي بالموت على الإسلام رجاء قبول دعاء الصَّغير، فلحقتني منه عبرة وشفقة، وكان يقول في حديث أو علم ينتفع به بعده، إنّما التآليف في ذلك إذا اشتملت على فوائد زائدة وإلا فهو تخسير".[74]

وقال تلمذه **البرزلي**[75]:" أدركناه يقرأ في الصيف الأصلين والمنطق والفرائض والحساب والقراءات في آخر عمره، وجالسناه نحوَ أربعين عامًا وأخذنا عنه علومه وهديه". [76]

كما ذكره صاحب كتاب **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، قال:" الشَّيخ الإمام شيخ الإسلام، علَّامة الدُّنيا، وحائز قصب السَّبق في الفنون، العابد الصوَّام القوَّام، مجد المائة الثَّامنة أبو عبد الله محمد ابن الشَّيخ العالم الصَّالح المتبرك، جار الله سيدي محمد أيضا، شهر بابن عرفة الورغمي التونسي". [77]

---

73 انظر: شمس الدين، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*"، 9: 24.

74 أحمد بابا، التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*" 465.

75 البرزلي: أبو القاسم، أحمد بن إسماعيل، البرزلي، القيرواني التونسي، أحد أكبر تلامذة الإمام ابن عرفة. ولي الإمامة والخطابة عوضًا عن الغبريني، واستمر إلى وفاته في 15 ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة 1439م. دفن بالجلاز. انظر: أحمد بن أبي الضِيَّاف،" *إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان*"، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، (تونس، الدار العربية للكتاب، عام: 1999) 7: 62.

76 أحمد بابا، التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*"، المصدر السابق، 466.

77 أحمد بن أبي الضِيَّاف،" *إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان*"، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، (تونس، الدار العربية للكتاب، عام: 1999) 7: 61- 62.

ولم يقتصر مدح ابن عرفة والثَّناء عليه على النَّاحية النَّثريَّة فقط، بل راح بعض تلاميذه ينظمون القصائد العذبة الجميلة في علمه وفضله، وقد نظم الأبيُّ فيه قصيدة، وهي قصائد حملت شحنة من العواطف الجيَّاشة التي اختزنت في صدورهم، وقد انتقلوا إلى الكتابة للتَّعبير عن امتنانهم العميق، قال: [78]

**أَيَا طَالِبِي العِلمَ يَبغُونَ حِفظَهُ ... هَلمُّوا فإنَّ العِلمَ هَانَتْ سبِيلُهُ**

**فَهذَا هُدِيتمُ للصَّوابِ ابنُ عرفة ... أتاَكُم بوضعٍ لم يُشَاهدْ مَثِيلُهُ**

**فدونَكُم يَغنِي عن الكُتبِ كُلِّهَا ... وإنْ قلَّ حَجمًا والعيانُ دليلُهُ**

**وحلَّ من التَّحقيقِ أرفعَ رُتبَةٍ ... وهذَّبَ مَبنَاهُ فصحَّتْ نُقُولُهُ**

**وأَحكمَ مِنْ كُلِّ الحقائِقِ رسمُهَا ... فلا خَلَلٌ يخْشَى لديْهَا حُلولُهُ**

**وردَّ من التَّخْرِيجِ والنَّقلِ واهيًا ... وأوردَ تنبيهًا فَحُقَّ قُبولُه**

**كذَا، فليكُنْ وضعُ التَّآليفِ لو يَدُمْ ... ولا غيرُ ذاكَ العلمِ هذَا قليلُهُ**

**فإنْ جاءَ فَرضًا مَنْ يُريدُ اعتراضَهُ ... فَدعْ أمرَهُ أنَّ التَّعسُفَ قِيلُهُ**

ولم يكن نصيب **ابن عاشور** العالم المفسِّر الجليل قليلاً في ذكر صفات الشَّيخ الإمام، وكان تناوله للشَّيخ الورغمي من ناحية الفضل في علم التَّفسير وتفسيره للقرآن الكريم؛ إذ كان لتفسيره في ذلك العصر الفضل العميم في نشر علوم القرآن، فقد ملأ صيته الأفاق، وتناقلت الألسنة ذكره، وطارت شهرته، وعمَّ فضله في انتشار تفسيره الشَّامل للقرآن الكريم، فقد قصده النَّاسُ من كُلِّ صَوبٍ لأخذ علم التَّفسير عنه أوَّلاً، ثُمَّ الأخذ من علومه الأخرى.

بينما تناول **القاضي ابن الأزرق** حال الشَّيخ في الفضل والعلم، فقد بلغ من المراتب العليا مابلغ، وكان آية في علم الفقه؛ إذ لايرى مثله في فقه، كما لايرى مثله في العبادة من صيام وقيام وتلاوة للقرآن أناء اللَّيل وأطراف النَّهار، فإنْ لم يكن

[78] أحمد بابا، التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*"، 470- 471.

في قراءة التِّلاوة، كان في قراءة التَّعبد من خلال دروسه وعمله في تدريس القرآن الكريم ومدارسته. قال بعض تلاميذه في الثناء عليه: [79]

**وعلَّامةٌ مَنْ نعتَهُ العَلَمُ الفَرْدُ ... وبعضُ سجايَاهُ السَّمَاحَةُ والرِّفْدُ**

**تفرَّدَ في عليائِهِ وذكَائِهِ ... وفي خَلقٍ حُلو حكَى طعمَهُ الشَّهْدُ**

**إذَا فَسرَّ التَّنزِيلَ أَعْجَزَ أَوْ عَزَا ... حَدِيثًا فَلَا يُسَألُ زُهيرٌ وَلا عَبْدُ**

**وَمهمَا نحَا نحوًا وفِقهًا وأصّلَهُ ... وعِلمَ كَلَامٍ سَلَّمَتْ لَهُ أَلسُنٌ لُدُّ**

**وإن قَسّمَ المِيراثَ أوجزَ عِادِلًا ... بِفَرضٍ يحلي وجهَ سُنَّتِهِ الرَّشدُ**

**لقَدْ حَفَّ بالحُوفيّ منه مُسدَّدٌ ... متى رامَهُ حَيفٌ فبينهما سَدُّ**

**فَلو مَالكَ العِلمَ الإمامَ بطيبةٍ ... رآه لولاه وقالَ لكَ العَهدُ**

**إمامٌ إمامٌ والورى مِن ورائِهِ ... يؤمّونَ مِصبَاحًا مصاحِبهُ رُشْدُ.**

كما ذهب **ابن فرحون** في الحديث والثَّناء على شيخه إلى بالمقرئ الأصولي الفقيهِ الورع، عالم زمانه، والمنتفع به النَّاس في مكانه من تقربت إليه العامَّة بالطَّلب من العلم، وتناولت من علمه الكثير، وانتشر علمه بين الشَّرق والغرب، ولم يكن مقتصرًا على بلاد المغرب فقط، بل تجاوزت شهره النَّواحي والأماكن على جميع الأصعدة ومن مختلف الفضائل والصِّفات. [80]

وكذلك كان الثَّناءُ على الشَّيخ منهجًا لعديد من العلماء الفضلاء، الذين لم يتروكوا بابًا من أبواب فضله إلا طرقوه، وتكلَّموا عليه فيه، **كابن علوان** الذي وصفه بالتَّحقيق في منهجه بالتَّدريس، و**ابن عمّار** الذي ربط صفات الشَّيخ بمنهجه وطريقه إلى الحجّ، فلم يكنِ الحجُّ هو الطَّريق الأوحد عند الشَّيخ لقضاء فريضة العبادة فقط، بل كان زيادة في سَعَة الشُّهرة ونشر العلم والإجازة للطَّلبة على الاجتهاد في القصد والطَّلب واستغلال وجود الشَّيخ في تلك المواضع للأخذ عنه، واللِّقاء به. وكذلك أثنى

[79] أحمد بابا، التنبكتي،*نيل الابتهاج بتطريز الديباج*"، المصدر السابق، 470- 471.

[80] انظر: ابن فرحون، المالكي، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*" 2: 331- 332.

عليه **ابن الجزري** في مؤلفه: غاية النهاية في طبقات القراء، و**أبو ظهيرة المكي** في معجمه، و**السَّخاوي** في كتابه: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ولاننسَ تلاميذه **كالأبي، والبرزلي**، والذين لجأ بعضهم إلى الثَّناء على الشَّيخ عبرَ الشِّعر، وهو خير الوسائل في ذكر الصِّفات وحفظها، في كُلِّ الأزمان جيلاً بعد جيل، والدَّليل وصولها إلينا بعد كُلِّ تلك العصور والقرون الغابرة.

وأمّا عن صفاته ومكانته عند الجميع؛ فقد جمعَ ابنُ الرَّصاع في فهرسه حديثًا جميلًا عن صفات الشَّيخ ومكانته تلك الأيَّام؛ فلقد كان رحمه الله "مسعودًا في دنياه مرضيًا عنه في أُخرَاه مع طول عمره، لقد هابته الملوك وقامت بحقِّه، ومن سعادته أنّ اللهَ تعالى لم يبتلِه بتولي القضاء مع قدرته عليه وعلى تحصيله، وذلك في حفظ من الله له ورعاية. ولي إمامة الجامع الأعظم جامع الزيتونة سنة 750هـ، وقُدِّمَ لخطابته سنة 772هـ، وقد أباه أهل تونس، واشترطوا عليه شروطًا فقبلها، منها أنْ لا يأكل التين لعسر الإنقاء، فقال من فضل الله ما أكلته قطُّ، ومنها أنْ لا يمشي في الأرض حافيًا، فقال لا أتركها ولا في المسجد، قال في إحدى خطبه: [81]

**أيُّها النَّاس**

**يَرفَعُ الدَّهرُ أُنَاسًا بَعْدَ أنْ كانُوا سَفَالَه**

**مَنْ لهُ في الغَيبِ شَيءٌ لمْ يمُتْ حَتَّى ينَالَه.**

هكذا بيَّن البحثُ في هذا القسم ثناءَ العلماء على هذا العالم الجليل من خلال ذكر صفاته العقليَّة والعلميَّة، فتارةً تذكر الصفات العقلية عند جماعة ممن أثنوا عليه، وتارةً يتناولون الصِّفات الخلقيَّة العالية التي تمتَّع به الإمامُ الجليلُ ابنُ عرفة الورغمي، فقد كان **السُّيوطي** ممَّن ذكر الإمامَ بالصِّفات الدينيَّة، كالورع والزُّهد وملازمة العمل والشُّغل بالعلم، كما لم ينسَ ذكره من النَّاحية العلميَّة بالبراعة في الأصول والفروع والعربيَّة وعلومها البلاغيَّة على وجه الخصوص: كالبيان والبديع. وَكذا رفع **الرَّصاعُ** من قيمة أستاذه فجعله العالم الَّذي افتخرت به الأمَّةُ، العلم الأعلم، وبأنَّه نهايةُ العقول في العقل والمنقول، وبأنَّ محبتَه دخلَتْ في قلوب النَّاس، واستوطنت على الأفئدة، كما كان **ابنُ حجر العسقلاني** من الَّذين أثنوا عليه وذكروا بأنَّه من أكابر

[81] أبو عبد الله محمد الأنصاري، ابن الرصاع، "فهرست الرصاع"، تح: محمد العنّابي، (تونس: دار الكتب الوطنيّة، د.ت) 80.

علماء المغرب في عصره، وبتعظيمه عند السُلطان آنذاك فقد أخذ الحظَّ من المنزلة لديه، وكان من جلسائه المقرَّبين. وكذلك غيره من العلماء الأفاضل الَّذين ذكرهم البحث، وفَصَّلَ القَولَ فيهم.

**خاتمة:**

1- عاش ابن عرفة في زمن الدولة الحفصيَّة بتونس، وقد أُشتُهِرَ بينَ علماء عصره، وأصبح عَلَماً من أعلامِ عصره ومن المُقدَّمِينَ للتدريس والتعليم في مساجد تونس، ولاسيَّما مسجد الزيتونة الذي كان بمنزلة جامعة في ذلك العصر، ولم تكن تلك العلوم قد جاءت من فراغ، بل كان لنشأته في بيت صالح الأثر الكبير في تكوين شخصيته وتفرُّغها للعلم والتعليم.

2- لقد ساعدَ الاهتمامُ الكبير من قبل الدولة الحفصية العلماء وعلى رأسهم ابن عرفة في تطوّر العلم وانتشاره وشهرة العلماء بين البلاد العربية جميعاً ليس فقط في بلاد المغرب العربي. فقد أولت الدولة الحياة الفكرية ونتاجها الأهميَّة الكبرى؛ إذ عَمِلتْ على التشجيع على العلوم الدينية من خلال تقديم الدعم المالي من الخزينة العامَّة، وهذا انعكس بالإيجاب والتحصيل العلمي على ابن عرفة وغيره من علماء عصره.

3- تتلمذ ابن عرفة على ثلة طيبة من العلماء الأفذاذ الذين رسَّخوا قواعد العلم، ونشروا علومه بين البلدان شرقاً وغرباً، ولعلَّ من أَشهرهم: ابن الحباب، وابن جابر، وابن عبد السَّلام، الكِناني، وابن سلمة، ومحمد بن سعد، وغيرهم. وبهذه الطبقة من العلماء أدركنا تلك القوة العلميَّة والعقليَّة الَّتي استطاع ابن عرفة أن يجمعها عن شيوخه بالملازمة والصبر.

4- نقل ابن عرفة علومه التي جمعها وبرع فيها إلى طائفة من تلاميذه، الذين حملوا مهمّة العلم وأمانته ونقلوه عن شيخهم بعد وفاته، فلولا هذه الجهود العظيمة من تلاميذ الشيخ ابن عرفة لمّا وصلت إلينا مؤلفاته الجليلة، ومن أهمهم: الأبيّ، الإدريسي السَّلاوي، المسيلي، الغبريني، الوانوغي، ابن مرزوق الحفيد، الذين اشتهروا بالعلم والمرتبة العالية بتلك العلوم والعمل بها من بعد شيخهم ابن عرفة.

5- ترك ابن عرفة مجموعة من المؤلفات الجليلة والتي لم تصل إلينا بخط ابن عرفة وبجهده، بل وصلت إلينا عن طريق تلاميذه الذين نقلوا هذه العلوم عن شيخهم بالرواية وعلى رأسها تفسيره للقرآن الكريم، والذي جاء بروايات عديدة عن تلاميذه، وهي: تفسير القرآن الكريم، والمختصر الفقهي، والمختصر في المنطق، و الهداية الكافية الشافية، وهي من الكتب والمؤلفات المروية عنه بالتحقيق، وله العديد من المؤلفات المروية عنه ولكنها لم تحقق بعد، وهي: اختصار الموفي في الفقه، المختصر الشامل في

التوحيد، المختصر في علم الكلام، المختصر في علم اللغة والنحو، وغيرها من المرويّات والتي تشهد بسعَة علم الشيخ ابن عرفة، وفضله في نشر العلم في بلاده آنذاك.

6- لقد كان الثَّناءُ على الشَّيخ منهجًا لعديد من العلماء الفضلاء، الذين لم يتروكوا بابًا من أبواب فضله إلا طرقوه، وتكلَّموا عليه فيه، **كابن علوان** الذي وصفه بالتَّحقيق في منهجه بالتَّدريس، و**ابن عمّار** الذي ربط صفات الشَّيخ بمنهجه وطريقه إلى الحجِّ، فلم يكنِ الحجُّ هو الطَّريق الأوحد عند الشَّيخ لقضاء فريضة العبادة فقط، بل كان زيادة في سَعَة الشُّهرة ونشر العلم والإجازة للطَّلبة على الاجتهاد في القصد والطَّلب واستغلال وجود الشَّيخ في تلك المواضع للأخذ عنه، واللِّقاء به. وكذلك أثنى عليه **ابن الجزري** في مؤلفه: غاية النهاية في طبقات القراء، و**أبو ظهيرة المكي** في معجمه، و**السَّخاوي** في كتابه: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ولاننسَ تلاميذه **كالأبي**، **والبرزلي**، والذين لجأ بعضهم إلى الثَّناء على الشَّيخ عبرَ الشِّعر، وهو خير الوسائل في ذكر الصِّفات وحفظها، في كُلِّ الأزمان جيلاً بعد جيل، والدَّليل وصولها إلينا بعد كُلِّ تلك العصور والقرون الغابرة.

**KAYNAKLAR**

- Kur'an-ı Kerim.

- İbrahim Şüneybe Abbas, *Tercihat-ü el-İmâm İbn Arafe fî Tefsirihi Suratü el-Maide Unmuzecen*" (Yüksek Lisans Tezi, İslami İlimler Enstitüsü, Temel Din Bölümü, Şehit Hama Lakhdar Üniversitesi, Al Wadi, Cezayir, 2017-2018).

- Ahlam Saleh, Vahb,"*İbn Arafe el-Vargami el-Tunisi Dirasetün fi Siratihi ve Ulumihi el-Şariyeti "* Temel Eğitim Fakültesi Araştırma Dergisi (Musul Üniversitesi, Irak, 2007).

- Ahmed bin Abi Al-Diyaf, "*İthafü Ehl-ü Zaman Bi-Ahbari Mülük-i Tunus ve Ahd-ü el-Emân*" düzenleyen: Kültür İşleri Bakanlığı'ndan bir komite, (Tunus, Arap Kitap Evi, 1999).

- Ahmet Baba, Al-Tanbakti, "*Ney'lü el-İbtihac bi-Tadriz el-Dibac* , sunan: Abdel Hamid Abdullah Al-Harama, 2. Baskı, (Trablus, Libya: Dar Al-Kitab, 2000).

- Ahmed bin Amer,"*El-devletü el-Hafsiyyetü safahatün min tarihina el-mecit* (Tunus: Dar Al-Kutub al-Şarkiyye).

- İyad Halit Al- Tabbaa, "*El-İmam Celal Al-Din Al-Suyuti, Ma'lemetü El- Ulum El İslamiyye*", 1. Baskı, (Şam: Dar Al-Kalem, Yıl: 1996).

- Bekir Bin Abdullah, Abu Zeyt, "*Hilyetü Talib El- ilim* ,1. Baskı, (Beyrut, Lübnan: Müessese El- risaletü 2002).

- Celal El-Din Abdurrahman El-Suyuti, *Büğyetü El- vaat fi tabakat el-lügaviyyin ve el-nuha*t , editör: Muhammed Ebu El-Fadl, 2. Baskı, (Şam: Darul -Fikir, yıl: 1979) .

- İbn-ü Hacer el-Askalani, *Tuhfetü el- nubela-e min kısas el- enbiya*, Ganim İbn-i Abbas İbn-i Ganim, 1. Baskı (Dubai: Sahabe kütüphanesi , yıl: 1998).

- Hayruddin El-Zerkeli, "*El-A'lam*", 15. Baskı, (Lübnan: Dar El – ilim lil melayin , 2002).

- Rihap Mahmut İbrahim, "*El- alakat-ü El-ilmiyye lil devlet El-hafsiyye ma'a Eş-şark El-islami* (627AH/981AH)" (Araştırma, Dimyat Üniversitesi: Sanat Fakültesi Bilimsel Dergisi, 2014).

- Robar, Bizinşefik ,*Tarih-ü Afrika Fi- El- Ahdi El- Hafsi min El- Karn 13 İla El- Karn 15 miladi*, bakınız: Hammad-i El-Sahili, 1. Baskı, (Beyrut, Lübnan: Dar-ul Garp El-İslami, 1988).

- Şemsettin, İbn-ül Cezeri, "*Gayet-ü El- nihaye fi tabakat el- kurra* ,c. Pracıstırasır, 1. Baskı (Lübnan: Darül -Kütup el-ilmiyye, yıl: 2006).

- Şemsettin , Muhammed bin Abdurrahman El-Sahhavi, *El- davvu El- lamia li ehli El-karn et-tasia*'' (Beyrut, Lübnan, Dar El- Cil , 1992).

- Şemsettin Muhammed bin Ali bin Ahmet, Al- Davudi ,"*Tabakat-ü el-müfessirin* , 1. Baskı, (Lübnan: Darül -Kütüp El-İlmiyye, 1983).

- Abdurrahman bin Muhammet , İbn Haldun*, El- Mukaddime* , (Beyrut, Lübnan: Darül Cil , d.t.).

- Ebu Abdullah Muhammet El-Ensari, İbn-ü El-Rassa', "*Fihrist El- Rassa* , editör: Muhammet El-Annabi, (Tunus: Dar-ül Kütüp El- Vataniyye , d.T).

- El-Aliye Şa'ravi , *Tefsir ibn Arafe bi rivayeti El- bisili Dirase ve tahkik li sü'rati El-A'raf* (Yüksek Lisans tezi, Cezayir Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi, 2006).

- Abdülmelik El-Kasım, *Verasetül enbiya* (Darul-Kalem, El- Kitap El- İslamiyye d.T).

- İbn Ferhun, El-Maliki, El-Dibac El-müzehhep fi marifeti ayan ulema El-Mezhep , editör: Muhammet El-Ahmedi Ebu El-Nur, (Kahire: Darul Turas ).

- Ebul-Kasım Muhammet, el-Hafnavi, *Tarif-ü el- halef birical esselef* (Cezayir: Pierre Fontana Oriental Press, MS 1906).

- Muhammet bin Ahmet, İbn El- Şemma El – edille el- *beyyinetü el- nuraniyyetü fi mafahir el- devletü el- hafsiyye* ,editör: El-tahir bin Muhammet el-mamuri , (Kahire, Mısır: Arap Kitap Evi, 1984).

- Muhammet E l-Ahmedi, El-Zavahiri, *El- ilmü ve el- ulema ve nizamü el-ta'lim* , 2. Baskı, (Mısır : El –matbaa el- umumiyye 1955).

- Muhammet El-Ensari , El-Rassa', *El- hidayetü el- kafiyetü el-şafiyetü li beyani hakaik'i el – imam ibn arafe el-vafiye* (*Şerh hudud ibn arafe* ), editör: Muhammet Ebu El-Ecfan, El-Tahir el-Ma'muri , 1. Baskı, (Lübnan: Darul garp El-İslami, 1993).

- Muhammed Hasan Akil Musa, Nüzhetül *füdala tehzip siyeri a'lami el-nubela lil imami el-zehebi* (Suudi Arabistan: Darul Endelüs , d.t.).

-Muhammet bin Arafe,"*el-muhtesaru el- fıkhi*" Hafız Abdurrahman Muhammet Hayr, 1. Baskı (Dubai:Müessesetü Halef Ahmet el- haptur lil a'mali el- hayriyyeti, 2014).

- Muhammet Bin Arafe , "*El- muhtesaru fi el- mantık* ", editör: Saad Garrad (Tunus: Ekonomik ve Sosyal Araştırmalar ve Araştırma Merkezi, Tunus Üniversitesi, D. T.).

- Muhammet bin Arafe, *El-muhtesaru el-kelami* , editör: Nizar Hammadi, (Kuveyt: Dar El-diya yayın ve dağıtım için, 1434 Hicri).

- Muhammet El- fâzıl bin âşur, "*El-Tefsir ve ricalehu,* 2. baskı, (Mısır: Mecmeu el- buhus el-ilmiyyetü fi el-ezher , yıl: 1970).

- Muhammet bin Muhammet bin Ömer bin Kasım , Mahluf, "*Şecaratü El- nur el- zekiyye fi tabakat el- malikiyye* 1. Baskı, (Beyrut, Lübnan: Dar el- kütüp el- ilmiyye , 2002).

- Nuveyhit, *mu'cem-u a'lam el- cezayir min sadri el- islam hatta el –asır el- hazır* ,2. Baskı, (Lübnan:müessesetü nüveyhit el-sekafiyyetü lil te'lif ve el- tercem-e ve el-neşır, 1980).

- İbn Hişam, El-Ensari, *Şerh-u şuzur el- zehep fi ma'rifeti kelami el –arap* ,editör: Muhammet Ebu El-Fadl aşur, 1. Baskı (Lübnan:Dar-u ihya-u el-turas el-islami , 2001).